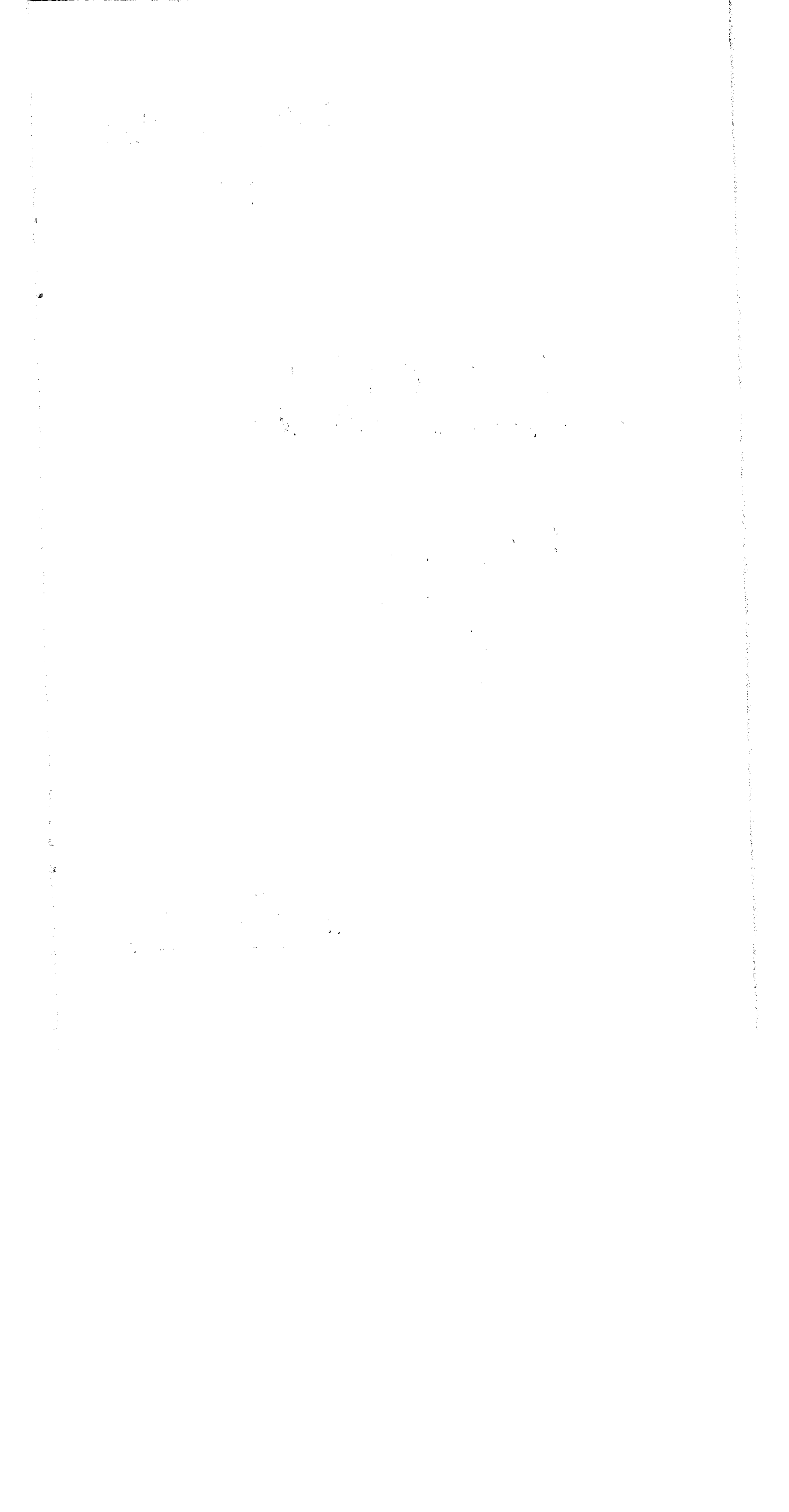
روائع المسرح العالمى
٤٤

الإله الكبير براون

تأليف : يوجين أونيل
ترجمة : جلال العشرى
مراجعة : دكتور محمود حامد شوكت
تقديم : دريني خشبة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر



مقدمة

المسرح الأمريكى

ويوجين أونيل

ان المسرح الأمريكى الذى أصبح اليوم من أقوى مسارح العالم ، ان لم يكن أقواها جميعا ولو من الناحية المادية .. لم يكن شيئا مذكورا قبل نصف قرن من الزمان .. واليـك الوقائع المجردة التالية لنبين لك بها معالم الطريق فى تاريخ المسرح الأمريكى ، وبالأحرى فى تاريخ المسرحية الأمريكية التى تغزو العالم كله اليوم ، ولا سيما عن طريق السـينما والتليفزيون بعد تحويلها الى أفلام صالحة للعرض فى هذين الوسيطين :

١ — كانت أول مسرحية أمريكية كتبها مؤلف أمريكى هى مسرحية جوستاڤوس ڤاسـا لمؤلفها بنيامين كولمان وقد مثلت فى كلية هارڤارد سنة ١٦٩٠ .

٢ — كانت أول مسرحية شـهدتها مدينـة نيويورك

— عاصـــمة المسرح اليوم — هى مسرحية « الضـابط المرح » لمؤلفهـا چـورچ فاركوار (١٦٧٨ — ١٧٠٧) ، كما كانت أول مسرحية تقدمها فرقة من المحترفين فى أمريكا الشمالية كلها وذلك فى السادس من ديسمبر سنة ١٧٣٢ .

٣ — كانت أول مسرحية تطبع فى أمريكا هى مسرحية أندر وبوروس لمؤلفها روبرت هنتر وذلك فى سنة ١٧١٤ .

٤ — كانت أول مسرحية يكتبها أمريكى وتقدمها فرقة من المحترفين هى مسرحية « أمير پارثيـا » لمؤلفها توماس جودفرى ، وقد أخرجت سنة ١٧٦٥ .

٥ — كانت أول كاتبـة مسرحية أمريكية اسـتخدمت المسرحية لأغراض سـياسية تهكمية ساخرة هى شـارلوت لينوكس (١٧٢٠ — ١٨٠٤) .

٦ — كان رويال تايلر R. Tyler (١٧٥٧ — ١٨٢٦) هو أول كاتب أمريكى يؤلف أول مسرحية فى موضـــوع أمريكى بحت يمثل على مسرح أمريكى .

ونلاحظ أن هذه كلها كانت محاولات وخطوات بدائية متعثرة أخفقت كلها فى سـبيل خلق مسرح أمريكى جـدى أو مسرحية أمريكية راسخة الدعائم . وقد تمت كلها فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

أما القرن التاسع عشر — وهو القرن الذى حدثت فيه أحداث المخاض لمسرحنا العربى — فلم يكن أسعد حظا من القرنين السابقين ، وان كتبت وأخرجت فيه مسرحيات كثيرة : واليك أيضا تلك الوقائع المادية الصرفة التى تعد من معالم الطريق فى تاريخ المسرح الأمريكى فى هذا القرن :

١ — كان ادوين فورست E. Forrest (١٨٠٦ — ١٨٧٢) الممثل والمدير الفنى الأمريكى أول من شجع الكتاب الأمريكيين على التأليف للمسرح وذلك بوضعه أول مسابقة فى المسرح الأمريكى لمنح الجوائز على أحسن المسرحيات التى تكتبها أقلام أمريكية .. وكان يخرج ويمثل المسرحيات الفائزة ، مما شجع حركة التأليف المسرحى فى أمريكا .. وكان عمله العظيم فى هذا الصدد تاريخا للمسرحية الأمريكية الحقيقية .

٢ — وقد كان من نتائج الخطوة التى خطاها ادوين فورست الى ظهور نجوم فن التأليف المسرحى فى مدينة فيلادلفيا ، والذين أصبحت جماعتهم أو مدرستهم تشتهر بهذا الاسم ، وفى مقدمتهم روبرت كونراد (١٨١٠ — ١٨٥٨) وروبرت بيرد وچورچ هـ . بوكر وچون أوجستس ستون .

٣ — كانت ملهـاة « الطراز Fashion » بقـلم الكاتبة أنّا كورا موات Mowatt التى أخرجت سنة ١٨٤٥ أول ملهاة أمريكية اجتماعية ساخرة نالت نجاحا كبيرا .

٤ — كان ديون بوســيكولت (١٨٢٢ — ١٨٩٠) وجون بروجام (١٨١٤ — ١٨٨٠) أعظم كاتبين وممثـلين أمريكيين محبوبين قبل بزوغ نجمى الكاتبين أوجستين دالى (١٨٣٨ — ١٨٩٩) وأوجستس توماس (١٨٥٩ — ١٩٣٤) . وكان بوسيكولت يقتبس الكثير من المسرحيات الفرنسية كما كان يخرج روائع انجليزية كثيرة .

٥ — وكان أوجستين دالى زعيما لكتاب لون جديد من الميلودرامة الأمريكية الناجحة التى لا يزال لهـا طابعها فى المسرح الأمريكى بعامة .

٦ — وفى سنة ١٨٦٦ ظهـرت أول الهزليات الموسيقية الصاخبة وأشـهرها جميعا وهى هزلية « اللص الأسـود The Black Crook » التى كانت تشتمل على فرقة باليه وتفيض بالمنـاظر الخلابة وقد عادت على مخرجها بمليون دولار .. ومن ثمة انحرفت بالمسرح الأمريكى الى الناحية المـادية الصرفة .. وأصـبح الايراد هو كل شىء فى نظـر الكتاب والمخرجين وأصـحاب المسارح على السـواء .. وكان تمثيلها

يستغرق خمس ساعات متواصلة . والمسرحية بقلم تشارلز م . بارس .

٧ — ولم تقتصر الناحيـــة التجارية عـــلى أمثال هـــذه الهزليات الموسيقية أو الـ Extravaganza فقط بل شملت أيضـــا الميلودرامات العنيفة التى كان من زعمـــائها ألبرت م . پالمر وستيل ماكاى وأوجستس توماس .

٨ — ومن مظاهر هـــذا القرن المسرحية أيضا حفـــلات المنشدين الزنوج المسرحيين الذين كانوا يجوبون أطـــراف الولايات الجنوبية حيث كانوا يقدمون عروضهم الانشادية الغنائية (Minstrel Shows) التى تطورت الى تلك المقارعات الهجائية الساخرة يقوم بها ممثلون من البيض بعـــد عمـــل مكياج أسود ليسخروا بالزنوج ولهجاتهم الكلامية .. وسنرى أن أونيل قد قاوم هذه المساخر بدفاعه عن الزنوج ، ومطالبته لهم بالمساواة التامة بينهم وبين البيض .

***

أما فى القرن العشرين ..

١ — فقد ظهرت فى العقد الأول منه طليعة من الكتاب مهدت الطريق لقيام مسرحية قومية أمريكية خالصة اتخذت لموضوعاتها مشكلات تلك الأمة الجديدة التى أخذت تمتـــد

وتقيم حياة جديدة فى ذلك العالم الجديد .. ففى سنة ١٩٠٦ يعطينا الشاعر والكاتب المسرحى وليم فوغان مودى « (١٨٦٩ — ١٩١٠) مسرحيتـه العظيمـة : « الانفصـال الكبير The Great Divide » التى عالج فيهـا مشكلة التقريب بين شطرى الولايات المتحـدة المتبـاعدين : أو بين شرقها وغربها ، وادماج أهاليهما فى كتلة أو أمة أمريكية متجانسة بحيث يسيغ أهالى كل من الشطرين عادات وتقاليد ووسائل حياة الشطر الآخـر ، وكل منهما مختلف عن أخيه عقـائد وأفكارا وأهدافا .

وفى سنة ١٩٠٦ أيضا صور الكاتب المسرحى الناشىء تشارلز كلين Klin (١٨٦٧ — ١٩١٥) وجهة نظر الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت فيما أشار به من التحكيم العرفى فيما ينشب من منازعات بين العمال وأصحاب العمل وذلك فى مسرحيته بنات الناس أو Daughters of Men .

وفيها أيضـا ظهـرت مسرحية الكاتب جـورج هـ . برودهرست (١٨٦٦ — ١٩٥٢) : رجـل الساعة — التى يصور فيها مساوىء الطرق المريبة المتبعة فى حكومات المدن المحلية .

وفيها أيضا ظهـرت مسرحية الكاتب الفكه لانجدون

أ . متشـــل (١٨٦٢ — ١٩٣٣) المســـماة « الفكـرة النيويوركية » وهى ملهاة لطيفة عن الطلاق عـدت أحسن ملهاة اجتماعية فى بابها .

وفى سنة ١٩٠٨ ظهرت مسرحية : « أســـهل الطـرق The Easiest way » للكاتب يوچين وولتر (١٨٧٤ — ١٩٤١) يهاجم فيها التحلل الأخـلاقى وحياة المخاللة التى تحياها بعض النساء بين رجلين أو أكثر .

٢ — وفى هذا الوقت أيضا أخذت شهرة ابسن وشـو تعبر المحيط الى أمريكا .. أما ابسن فقد أثنى عليه الكاتب هاريسون جراى فسكه H. G. Fiske بوصفه رسول الحق والصدق المنتظر ، بينما ذمه الكاتب وليم ونتر ونعى عليه بوصفه « الشر الوبيل الذى يجب أن يستعاذ منه ! » بينما وصف النقاد الأمريكيون مستر چورج برنرد شو بأنه كاتب « منحط ومنحل وفاسد الأخلاق ! » ولعل لمسرحيات شو الأولى أثرا فى اصدار هذا الحكم !

٣ — ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فصرفت الأذهان عن هذه التباشير المسرحية المرجوة الى حين ، وان ظفـرت المسرحيات الموسيقية التى تحفل بعروض الجنود والجيـوش المتدفقة الى ساحات الحرب باقبال شديد .

٤ — فاذا وضعت الحرب أوزارها عادت الحيــاة الى المسرح الجدى ، وأخذت الواقعية تغزو المسارح وتعرض على المتفرجين صورا من الحياة الأمريكية العملية . غير مبقية على شيء فى تلك الحياة الا صورته تصويرا فتوغرافيا .. فظهرت مسرحيات عن دنيا الصحافة .. وعن الحياة فى برودواى حى المسارح .. وعن النوادى الليلية .. وعن المواخير ودور الفساد وأمكنة اللهو البوهيمية .

٥ — ولا نظلم هذه الفترة .. فقد ظهرت الى جانب هذا الفساد كله ملاه ظريفة جدية . كما لمعت أسماء كتاب أماجد كان منهم كثيرون يكتبون بالاشتراك مع كاتب آخر أو كاتبة أخرى .. فهذا آندرسون يكتب بالاشتراك مع ستولنجس : « ما أفــدح ثمن المجــد » — أو : What Price Glory عن الحرب العظمى الأولى . وهذا كوفمان يكتب مع كونللى عددا كبيرا من المسرحيات الشائقة ، ويكتب مع هارت عددا آخر — كما يتعاون الكاتبان وولترز وهوبكنز .

٦ — وتظهر كفايات كتابية أخرى فى مقدمتها الكاتب الكبير المر ريس (١٨٩٢ — •) وچورچ م . كوهان (١٨٧٨ — ١٩٤٢) وفرانك كراڤن (١٨٨٠ — ١٩٤٥) والكاتبــة الموهوبة راشيل كروثرز (١٨٧٨ — •) والكاتبة العبقرية

آن نيكولس (١٨٩٥ — ٠) . ولا ننسى أيضا الكاتب اللبق فيليب بارى (١٨٩٦ — ١٩٤٩) .

٧ — ومن المعالم الكبرى التى تميزت بها هــذه الفترة (الاعدادية !) فى تاريخ المسرح الأمريكى ظهور شخصية چورچ پيرس بيكر (١٨٦٦ — ١٩٣٥) ذلك المعلم والمؤلف وأستاذ فن الكتابة المسرحية فى مدرسة الدراما أو معمل ٤٧ (The 47 Workshop) بجامعة هارڤارد ، أو هارڤارد ٤٧ — ورقم ٤٧ هــذا هو رقم القســم فى (كاتالوج الجامعــة) أو English 47 — وكان بيكر يقوم بتدريس اللغة الانجليزية ومادة التأليف والنقــد المسرحى فى هذا القسم من سنة ١٩٠٥ حتى سنة ١٩٢٤ ويرجع اليه الفضل فى رفع مستوى الكتابة المسرحية بين شباب المؤلفين الأمريكيين . وقد نبغ من تلامذته عــدد كبير من الكتاب الذين بهرونا بمسرحياتهم — نذكر منهم سدنى هوارد (١٨٩١ — ١٩٣٩) وادوارد شــلدون (١٨٨٦ — ١٩٤٦) وچــوزفين برســتون پيبــودى (١٨٧٤ — ١٩٢٢) وفيليب بارى و س . ن بهــرمان (١٨٩٣ — ٠) .. وچــورچ أبوت أو موليير الجــديد (١٨٨٧ — ٠) وچون ويڤر (١٨٩٣ — ١٩٣٨) .. الخ . ومن أشهر كتب بيكر : تكنيك التأليف المسرحى . وكان نجاح

القسم الذى يرأسه فى جامعة هارڤارد لتعليم أصول الكتابة للمسرح حافزا كبيرا لانشاء أقسام على غراره فى الجامعات الأمريكية الأخرى ، بل انشاء معاهد ومدارس مستقلة لتعليم هذه المادة .

٨ — ولما كان عدد المسارح فى أمريكا فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عددا كبيرا وآخذا فى الازدياد يوما عن يوم ، ولما كانت المسرحية الأمريكية — وبالأحرى التى يكتبها مؤلفون أمريكيون من القلة بحيث لا تسد حاجة تلك المسارح .. فقد كان جل اعتماد المخرجين على المسرحيات الواردة من أوربا .. ومن هنا نشطت حركة الترجمة من الفرنسية والألمانية وعن لغات أخرى .. هذا .. مع نشاط حركة استدعاء الفرق التمثيلية الأوربية المشهورة واستضافتها لتقدم برامج كاملة من تمثيلياتها وفنونها المسرحية فى المدن الأمريكية المختلفة والتى يقع معظمها على الشاطىء الشرقى من الولايات المتحدة .. مما كان له أثره فى تطوير المسرح الأمريكى ، والسير به قدما الى مستقبله الموعود .

٩ — أما المسرح الأمريكى نفسه من حيث ناحيته المادية فلا يفوتنا أن نذكر أنه كان شيئا ينظر اليه بعين الارتياب فى الولايات الشمالية ولا سيما نيو انجلند التى كانت تخضع

لتقاليد الطهريين وآداب سلوكهم .. ومن ثمة فرضت الأحكام والقوانين الصارمة للرقابة المسرحية والأخـذ بخناق الممثلين ودور التمثيل هناك .. وكان هذا من الأسباب التى جعلت الولايات الجنوبية هى البيئة الحقيقية الطبيعية لنشوء المسرح الأمريكى وتطـوره .. ولا سـيما فى مسـتعمرات ڤرچينيا وكارولينا مما يحسن الرجوع اليه فى المطولات التاريخية التى لا يتسع المقام هنا لاستعراض ما فيها . وحسبنا هنا أن نشير الى أن الولايات الشمالية لم تنشط الى تشجيع الحـركة المسرحية الا بعد سنة ١٨٦٠ حيث قامت الاتحادات الاحتكارية المسرحية التى تهدف الى استغلال المسرح استغلالا تجاريا بحتا غير حافلة بالنواحى الفنية أو الأهداف الأدبية أيا كانت .. ومن ثمة راجت الهزليات والهزليات الموسيقية والتمثيليات الاستعراضية الراقصة الصاخبة التى تضمن اقبال الجماهـير الحاشدة .. كما راجت الميلودرامات والمسرحيات الرومنسية التى تستهوى أفئدة هذه الجماهير .

١٠ — ولابد هنـــا من ذكر كلمة مختصرة عن حى برودواى .. حى المسارح فى مدينة نيويورك .. أو الحى الذى أصبح عاصمة مسرحية لأمريكا كلها ، وهو الحى الذى يشبه فى لندن حى وست اند ويشبه عندنا شارع عماد الدين عندما

كانت تتركز فيه أضواء المسرح : انه الشارع المسمى بهـذا الاسم فى مدينة نيويورك والشوارع المتفرعة عنه والقريبة منه .. وقد مثلت فيه مسرحية الضـابط المرح التى أشرنا اليها آنفا سنة ١٧٣٢ .. ثم أخذت المسارح تنشأ فيه وتأوى اليها الفرق المسرحية التى من أشهرها : واشنجطن سكوير پليرز (١٩١٤) والذى تطور فأصبح مسرح الجيلد وفرقته : The Theatre Guild (١٩١٩) . وقد قامت فرق ومسارح أخرى لمحاربة سلطان مسارح برودواى الجائر ومحاولة خلق فن مسرحى رفيع (غـير تجارى) فكان فى مقدمتها فرقة الپروڤنستون پليرز The Provincetown Players التى اكتشفت يوچـين أونيل ومثلت مسرحيـاته الأولى — وقد أنشئت سنة ١٩١٦ ، ثم فرقة النيبرهود پلييهوس The Neighborhood Playhouse التى أنشأها نفر من الهواة سنة ١٩١٥ . ثم فرقة سڤك ريپورترى ثييتر Civic Repertory Theatre (١٩٢٦) .

وبعد .. فهذه صورة سريعة مضغوطة لحوليات المسرح الأمريكى فى ثلاثة قرون .. وهذه هى الخلفية التى نما فيها هذا النجم الجـديد يوچين أونيـل (١٨٨٨ — ١٩٥٣) ولم يلبث أن لمع وتلألأ حتى أصبح أكبر كاتب مسرحى أنجبته

أمريكا ، بل أصبح الكاتب ذا الشهرة العالمية والذى غزت مسرحياته دور التمثيل وشاشات السينما فى العــالم كله ، والذى أصبح موضوعا لدراسات ضافية يكب عليها المتأدبون وأئمة الثقافات العليا فى جميع المحافل الأدبية وأندية الفكر..

ولكى نضع بين يدى القارىء صورة سريعة ومضغوطة لحياة أونيل وانتاجه المسرحى ، على نسق تلك الصورة السريعة المضغوطة التى قدمناها عن المسرح الأمريكى نفسه .. نبادر فنثنى الثناء كله على المقدمتين البديعتين اللتين كتبهما أخوان كريمان فى العددين الرابع والعشرين والتاســع والثلاثين من سلسلة هذه المسرحيات العالمية عن أونيل .. ثم نمضى على طريقتنا فى هذه المقدمات فنخلص حياة أونيل .. تلك الحياة التى هى المصدر الأول لموضوعاته المسرحية .. ونكتب بعد هذا عن أساتذته ومن أثروا فيه . بل الذين وجهوه وجهته الفنية والفكرية .. ثم نقدم خلاصات سريعة لأشهر مسرحياته لتوضيح أثر أكبر أساتذته فيه ، وفى هذه المسرحيات بالذات .

ثم نختــم كلامنا عن أونيل بعرض سريع لهـــذه المسرحية وما ابتدعه فيها من بدعة تلك الأقنعة التى تجعل كل شخصية تتكلم كلامين ، وتفكر بعقلين ، وتهيم فوق خشــبة المسرح

بروحين .. شأن أونيل فى كثير من مسرحياته التى كان يسبر بها أغوار النفس الانسانية .

ولعل أكثر قراء هذ السلسلة يعرفون مما قرأوا فيها عن أونيـــل أنه ابن الممثل الرومنسى المشهور چيمس أونيـــل (١٨٤٧ — ١٩٢٠) ، وأنه ولـد فى منـــزل بائس فى حى برودواى بنيويورك من أم لم تشتغل بالتمثيل قط كما يظن بعضهم ؛ وأنه قضى طفولته المشردة بحكم عمل أبيه مطوفا بأرجاء الولايات المتحدة الأمريكية .. متنقلا بين مدنها وقراها حيث كان والده يشترك فى التمثيل مع فرقته الجوالة ليقوم بأدوار البطولة فى كثير من مسرحيات شيكسبير ولا سيما هاملت ولير وعطيل وماكبث ، ثم فى تمثيلية ألكسندر ديما الرومنسية الخيالية الخـالدة الكونت دى مونت كريستو ، حيث كان يضطلع بدور البطولة فيها .. وحيث كانت تفتن جمهور النظارة الأمريكى فتنة بالغة وتأتى للفرقة بايراد كبير ضخم كلما أعوزها الايراد الكبير الضخم ، وكلما وقعت فى ورطة مالية لاخفاق بعض المسرحيات الأخرى .. وقد قضت هذه الحياة المتنقلة ألا يتلقى الطفل يوچين الا تعليما ممزقا وثقافة سطحية يقـوم له بهما معلمون خصـوصيون أو فى مدارس خاصة اذا أتيحت له فرصة الالتحاق بها .. ثم هيأ

له القدر الالتحاق بجامعة پرنستون فلم يمكث بها غير عام واحد لأنه كان طالبا خائبا . ولهذا أشركه أبوه فى فرقته حيث كان يعهد اليه ببعض الأدوار الصغيرة وببعض الأعمال الادارية .. ومن هنا اختلط يوچين بالممثلين والممثلات .. وعرف الليالى الحمراء .. وجرفته أمواج الظلام فعب من مفاتنها حتى شبع .. وان ساءت صحته وكان أخوه جامى قائده فى ذلك .

على أن خيبة يوچين فى الجامعة كانت خيرا عليه وبركة .. لقد تنبه فيها الى نعمة القراءة فنفذ من بابها الواسع الى روائع القصص العالمى .. لقد التهم قصص كونراد ونوريس وريد وچاك لندن ولويس وغيرهم وغيرهم ممن سنحدثك عنهم وعن أثرهم فيه بعد قليل .. وقرأ بعد ذلك ما كان يرد الى أمريكا من القصص الروسى والفرنسى والانجليزى .. ثم هو لم يهمل الاطلاع على آخر تطورات تلك الثورات الفكرية فى عالم النفس والاقتصاد وقضايا الأجناس البشرية المضطهدة .. ثم ما يجرى فى المسرح الأوربى بين عاهليه الكبيرين : ابسن النورويجى ، وسترندبرج السويدى .. وقد اجتذبه الكاتب السويدى فغاص معه فى بحره ، ولو لم تكن له شخصيته القوية المستقلة لتلاشى فيه .. والذين تفوتهم هذه الحقيقة يفوتهم مفتاح يوچين أونيل الذهبى .. ولهذا أوصى القارىء

بأن يذكر ستر ندبرج دائما وهو يدرس يوچين ؛ انه شيخ أساتذته جميعا ، وان كان من بينهم ڤدكند وهاوپتمان الألمانيان .

واستطاع يوچين الصغير أن يصل الى منصب مساعد المدير الادارى للمسرح قبل أن يضيق بمسرح أبيه .. وبفن أبيه أيضا ..

لقد هدته قراءاته واطلاعه على قصص المذهبين الواقعى والطبيعى ، وما يجىء من أوربا من رياح ماركس وفرويد ، وفن ابسن وستر ندبرج وڤدكند وهاوپتمان .. ثم تولستوى وجوركى . أن أباه يندفع بقوة القصور الذاتى فى تيار الرومنسية المضحكة التى تمثلها مسرحية هذا الكونت دى مونت كريستو .. لكن يوچين لا يدرى ماذا يفعل .. والذى قدر عليه هو ترك مسرح أبيه .. ثم الضرب فى أرجاء الدنيا الواسعة ليختلط بالناس ويدرس موكب الانسانية فى صوره المختلفة .. وفى ثلاث قارات .. وفى ألف بيئة وبيئة .. يختزن التجارب ، ويراكم المشاهدات والملاحظات . وكان لابد له من عمل ليعيش ، فلم يبال أن يلتحق بوظيفة مساعد لمهندس ذهب الى هندوراس الأسبانية للبحث عن الذهب فى أحد مناجمه .. لكنه مرض بعد أشهر قلائل فعاد الى بلده للعلاج ،

ولم يكد يشفى حتى التحق بوظيفة مساعد لمدير فرقة مسرحية جوالة طاف معها القسم الشرقى من الولايات المتحدة ووسط القسم الغربى منها .. ثم زهد هذا العمل المسرحى فعمل بحارا على سفينة نورويجية كانت تعمل على خط ملاحى بين بوسطن وبيونس أيرس عاصمة الأرجنتين . وفى خطاب منه الى الناقد الأمريكى باريت كلارك — مؤلف أحسن كتاب عن يوچين أونيل ، يقول : « .. وفى الأرجنتين اشتغلت فى أعمال مختلفة .. منها وظيفة كتابية فى شركة وستنجهوس الكهربائية ووظيفة أخرى فى احدى شركات الصوف .. ثم فى وظيفة ثالثة بشركة سنجر لماكينات الخياطة .. ثم عدت الى البحر لأرعى البغال والماشية المشحونة من بيونس أيرس الى دربان فى جنوب أفريقيا .. وبالعكس .. ثم تتلو هذا فترة طويلة قضيتها فى عزلة واملاق على شاطىء البحر فى عاصمة الأرجنتين اضطررت بعدها الى العمل كبحار عادى فى باخرة بريطانية تعمل بين بيونس أيرس ونيويورك .. وكانت آخر وظائفى بالبحار عملى بوظيفة بحار كفء مقتدر على خط بريطانى بين نيويورك وسوثمبتن .. وفى الشتاء التالى عدت الى فرقة أبى المسرحية لألعب دورا فى مسرحية ديماس : الكونت دى مونت كريستو ، وكانت الفرقة تقوم بجولة تمثيلية فى أقصى غربى الولايات

المتحدة .. ثم تركت فرقة أبى لأعمل مخبرا صحفيا .. وأخيرا انهارت قواى واعتلت صحتى .. وشعرت بالداء الوبيل ينخر رئتىّ .. فأويت الى أحد المستشفيات الصدرية حيث انطويت على نفسى ستة أشهر أفكر فيما يأتى به الغد .. ولقد كانت هــذه العزلة الاضطرارية هى الفترة التى رأيتنى أفكر فيها — أول ما فكرت — فى الكتابة . وفى الخريف التالى — وكنت فى الرابعـــة والعشرين — بدأت أكتب أولى مسرحياتى : « العنكبوت The Web » التى تعالج حياة احدى البغايا التى تعيش فى حماية أحد عشاقها . وهو يقول عن هذه المسرحية :

« لقد كتبتها وأطياف أساتذى الذين قرأت لهم وتأثرت بهم ترقص فى خيـــالى ! » فمن هــم هؤلاء الأساتذة ، وكيف تأثر بهم أونيل ؟ لقد كان منهم :

١ — چوزيف كونراد (١٨٥٧ — ١٩٢٤) الـكاتب البولندى الذى تعلم الانجليزية وراح يكتب قصصه البحــرية بها ، والتى جذبت أنظار جماهير القراء الانجليز اليها ، لالتزامه فيها الأسلوب الواقعى ووصف حياة العاملين بالبحار والمتصلين بهم وصفا دقيقا جذابا ، محللا تلك العوامل التى تدفع هؤلاء المساكين الأقوياء الى العمـــل ، ومحللا غرائزهم وأخلاقهم الطبيعية تحليلا جميلا خاليا من الكلفة .

٢ — هارى سنكلير لويس (١٨٨٥ — ١٩٥١) القصاص الأمريكى الذى لم يشتهر الا بعد سنة ١٩٢٠ ومع ذلك فقد فتن أونيل بقدرته على وصف أخلاق أهالى المدن الأمريكية فى وسط الغرب وما يتسمون به عادة من نفاق وخيلاء وتعصب دينى .. ولا سيما رجال الأعمال منهم ورجال اللاهوت البروتستنت ممن كان يشويهم بسخريته اللاذعة وقفشاته البديعة الحلوة التى تأثر فيها بأسلوب أستاذه وأستاذ أونيل نفسه : هنرى لويس منكن .

٣ — هـ . ل . منكن H. L. Mencken (١٨٨٠ — ١٩٥٦) الصحفى والناقد الأدبى وكاتب الرسائل الأمريكى المشهور وفاضح المنافقين والأغبياء وأهل الخيلاء والمتطهرين والمستمسكين بالتقاليد الفكتورية الزائفة المتكلفة والبورجوازيين المتغطرسين الذين كان يسميهم الـ boobs أو الحمقى الأغبياء الذين لا أحلام لهم .. وقد أثر منكن فى أسلوب النشء من الكتاب الأمريكيين وبالتالى فى أساليب جميع الكتاب الأمريكيين ولا سيما الأسلوب الصحفى ولا نغالى اذا قلنا ان له مدرسته الصحفية فى مصر أيضا .

٤ — چاك لندن J. London (١٨٧٦ — ١٩١٦) القصاص والصحفى الجوال الأمريكى المشهور وصاحب

قصص المغامرات العنيفة ولا سيما فى أقصى الشمال وفى البحار الجنــوبية ، وكان متأثرا تأثرا شديدا بأفكار كارل ماركس وبالفيلسوف نيتشه ، وكان شديد العطف على الفقراء كثير التنبؤ بثورة اشتراكية تقوم على اثرها حكومة عالمية تتــولى مقاليد الحكم فى العالم . وقد كان أثر لندن فى أونيــل أثرا عميقا بل جذريا .. اذ كان يجد فى حياته مشابه كثيرة تلتقى وما مر به هو فى حياته الأولى .. من سلوك سائب منحل ، واحتراف مهن حقيرة فوق ظهور السفن الى أقاصى البحــار الشــمالية (الى ألاســكا حيث الباحثون عن مناجم الذهب أيضا ..) .. وقد انضم الى الحزب الاشتراكى ولم يلبث آن استقال منه سنة ١٩١٦ .. بعد أن أصبح غنيا ضخم الايراد بسبب قصصه وكتبه .

٥ — فرانك نوريس F. Norris (١٨٧٠ — ١٩٠٢) القصاص والصحفى الأمريكى والذى كان يحتذى مثال اميل زولا فى قصصه الطبيعية وغرامه بمعالجة حياة الفقراء والحقراء وحثالة القطيع البشرى وتصوير عللهم الاجتماعية والمادية .. ومن ثمة تلك السمة من التشــاؤم والايمان بالحتمية المطلقة أو الجبر الذى لا حيلة للانسان فيه .. مما نلاحظه فى مسرحيات أونيــل .

٦ — چون ريد J. Reed ١٨٨٧ — ١٩٢٠) الصحفى والممثل والمؤلف الأمريكى الاشتراكى المعروف بتشجيعه للآراء المتطرفة وعطفه على ثورة ١٩١٧ الروسية وقد كان من منشئى أول حزب اشتراكى أمريكى وله كتب كثيرة يعجب بها الروس ويجلونها وقد توفى فى باكو سنة ١٩٢٠ ودفن فى الكريملين .. وقد عرفه أونيـــل حينمـــا كان يمثل فى مسرحياته بفرقة البروڤنستون پليرز وتأثر به لكنه لم يجاره فى تطرفه .. وخيرا فعل .

٧ — فرانك ڤدكند (ودكند F. Wedekind) (١٨٦٤ — ١٩١٨) الكاتب المسرحى الألمانى الجرىء الذى يعد فى نظر الكثيرين رائد المذهب التعبيرى .. والذى كانت مسرحياته حول الأمور الجنسية الشاذة تثير الرأى العام وتسبب القلق لكاتبها فى دوائر الحكومة الألمانية .. وأستاذنا چون جاسنر يشتد فى نفى تأثر أونيل بتعبيرية ڤدكند ، بل يغلو فيقول ان أونيل قد اهتدى الى المذهب التعبيرى دون أن يعرف شـيئا عن التعبيرية الألمانية .. وهذه مبالغة لا ندرى كيف وقع فيها الأستاذ الجليل مع وجـود أوجه شبه صارخة بين كثير من مسرحيات الكاتبين الكبيرين .. وبصرف النظر عن هذا فقد تعلم أونيل من السنة التى قضاها فى جامعة پرنستون ، ثم من

السنة التى قضاها فى مدرسة بيكر رقم ٤٧ شيئا كثيرا عما كان يجرى فى المسرح الأوربى من ثورات فكرية هى بلا شـك ثورات انقـلابية .. وحسبه أن يسـمع عن تعبيرية ڤدكند وهاوپتمان وتعبيرية ستريندبرج ليكون ما سمعه خميرة تفكير لا تلبث أن تتفاعل حتى ينفعل بها كاتب المستقبل العبقرى .. مما ظهرت آثاره كبيرة سافرة فى معظم مسرحياته الكبيرة .

٨ — أوجسـت سـترندبرج (١٨٤٩ — ١٩١٢) ..

وسترندبرج هو كما قدمنا مفتاحنا الذهبى الى أونيـل .. وبينهما أوجـه شـبه عجيبة تشمل حياة كل منهما وفلسفتهما وطريقتهما فى عرض مسرحياتهما ثم موقف كل منهما تلقـاء المذهبين الواقعى والطبيعى ، ونفاذهمـا من سطحية هذين المذهبين الى أغوار النفس الانسانية ليعبرا عما فيها من أسرار وما يجيش هناك من وساوس ، وما يأخذ بزمام هذه النفس بسبب تلك الأسرار والوساوس من ذلك القدر المحتـوم الذى لم تصنعه الآلهـة كما كان اليونانيون القدامى يعتقدون ، بل الذى يصنعه المجتمع وظروف الحيـاة والتحكم الطبقى والتفاوت المعاشى والمسـتوى التعليمى المنخفض بل المتلاشى الذى ترسف فيه جماعات بأكملها من القطيع الانسانى فتتفشى فيها الجهالة وتؤمن من ثم بالترهات والخرافات ، ويكون لهذه

الترهات والخرافات أثر عميق فى طريقة تفكير تلك الجماعات البائسة التى لا تملك الا أن تستسلم لمن يستغلها .. الا أن يثور من بينها ثائر يعبر عما تكتمه من ألم وما يضطرب فى صدورها من شجن .. فاذا أرادت أن تصنع شيئا لم تنته محاولتها الا الى الفشل ، لأن عدوها المتربص بها قوى ، وأسلحته المادية فتاكة .. وهو عادة يملك مصادر القوة والثروة والعمل كلها .. وهى مصادر لا تملك منها تلك الجماعات البائسة الا قوة عضلاتها .. وقوة هذه العضلات فى خدمة السادة دائما .. تستغلها .. وتحاول أن تطعمها وتبقى عليها لتعطيها أكثر ...

.. لقد كان سترندبرج ابنا غير شرعى لوالد غنى من خادمة ضعيفة .. وقد ظلت هذه النقطة من الشعور بالنقص تخامره وتعذبه طوال حياته .. وتجعله عدوا للبورجوازية والبورجوازيين ، وعدوا للطبقات المترفعة التى أذلها ونال منها فى مسرحياته .. وكذلك فعل أونيل الذى كان ابن ممثل فى عصر لم يكن الممثلون فيه .. وفى أمريكا بالذات .. ينعمون بالكرامة الانسانية بعد .. ولم تكن الفرق الجوالة تنعم بأى قدر من الاحترام .. لقد كانوا يبيتون فى الزرائب والمخازن وأهراء الغلال ، ويحيون حياة البائسين الأشقياء .. وكان

الكثيرون منهم يقارفون الاثم بلا مبالاة ولا تقزز .. وكأنه شيء عادي .. وقد وقع أونيل فى هذا وفى شر منه حتى غثيت نفسه من البيئة المسرحية فهجرها ورضى بأحقر الأعمال .. وماذا بعد رعاية البغال والماشية من خسة وحقارة ؟

وقد تزوج ستر ندبرج ثلاث زيجات ، كانت احداها من ممثلة أحبها .. لكنه لقى منها ما لقى من الأخريين .. فطلقها هى أيضا .. وراح يصب لعنته على جميع نساء العالم .. وكذلك فعل أونيل .. وان كانت آخر زيجاته من سيدة حسناء أحبها وأحبته .. وان لم تستطع أن تجعله يرفق بالنساء ، فجعل منهن البغايا وأهل الصبوات فى كثير من مسرحياته .

واشتغل ستر ندبرج فى الصحافة ، وكذلك فعل أونيل .. وان كان فرق بينهما هو أن ستر ندبرج كان يكثر من كتابة المقالات والقصص التى لا تختلف فى مادتها ووجهتها عن مسرحياته ، أما أونيل فكان يعمل مخبرا .. وان كان يصوغ أخباره فى أسلوب قصصى شائق يجذب أنظار القراء ويستثير فضولهم ..

ولفت المذهبان الطبيعى والواقعى نظر كل من الكاتبين .. المذهب الطبيعى الذى يصور الشخصيات والأحداث تصويرا طبيعيا فتوغرافيا لا تعمق فيه ولا صنعة ولا حبكة ، والذى

يقتصر كتابه على حثالة البشر يعرضون علينا عللهم وآفاتهم وأساليب معائشهم عرضا آليا بشعا .. ثم المذهب الواقعى الذى سما الى أوجه على يدى ابسن ، والذى يتسع فيه المجال للتفلسف والجدل ونطق الشخصيات بلسان المؤلف وبأفكاره.. وبيان وجهة نظره ، ومن ثمة كان مجالا لعرض مشكلات المجتمع وقضايا الانسانية الكبرى فى أسلوب محبوك منتظم يبدأ بالعرض ويرتفع بعد التعقيد الى ذروة ثم ينتهى الى حل.. مما يختلف عن المذهب الطبيعى كل الاختلاف .

لفت هذان المذهبان نظر سترندبرج ، ونظر أونيل من بعده .. فلم يقعا فيما وقع فيه أقطاب كل من المذهبين من العناية بالسطح ، واغفال الجوهر .. وتناول الصورة واغفال الأعماق .. بل استعملا المذهبين وتساميا بهما الى دخيلة النفس الانسانية .. الى ظلماتها .. لم تشغلهما مشكلات الجماعات المؤقتة عن استكناه نفسية الفرد وما يجيش فى صدره من أوهام وأحلام وهواجس .. لقد كانا يسبحان فوق السطح ، ثم لا يلبثان أن يغوصا الى الأعماق ليعرضا ما فى قرارها من هلوسات ومكنونات .. ومن هنا استخدما المذهب التعبيرى الذى هذه وظيفته أحسن استخدام وأكثره جدوى ، لاجئين فى الوقت نفسه الى الرمز .. أو المذهب الرمزى الذى كان

يجيده ابسن ، ويكثر منه فى تمثيلياته الواقعية والرومنسية أيضا .. عدا تمثيلياته الرمزية الخالصة ، كما كان يجيده ستراندبرج الذى كان أشد عمقا من ابسن وأكثر تنوعا ، وأبعد نظرة ، وأشد افتتانا بكل جديد طريف ، وأحكم من أن يكون عبدا ذليلا لطريقة المسرحية ذات الحبكة الجيدة التى أخذها عن سكريب وتلميذه ساردو .. بل آثر الانطلاق من قيود القواعد الكتابية المسرحية .. يقترب من هذا المذهب مرة ، ويأخذ من ذلك المذهب بمقدار .. ويزاوج بين أكثر من ثلاثة مذاهب أو أربعة فى كثير من مسرحياته التى يرسلها فى غير نظام .. وفى أحيان كثيرة بلا حبكة .. مما جعل نقادا كثيرين يعيبونها بضعف البناء المسرحى .. والتفكك .. وقلة الترابط .. وذلك كما عابوا مسرحيات شيكسبير من قبل .. وهى الظاهرة نفسها التى يعيبون بها تمثيليات يوچين أونيل .. تلك التمثيليات التى يصفها بعض النقاد بأن فصولها الأولى تكون أقوى عادة من فصولها الأخيرة .. حيث نشعر بتراخى فن أونيل وتقطع أنفاسه .

والملم بمسرحيات ستراندبرج كثيرا ما يرى طيفه يرفرف بين سطور أونيل ، ويكاد يظللها فى معظم مسرحياته .. بل يكاد يلمس تلك الصوفية المتشائمة المتبرمة القاتمة الوجه الغائمة

الأسارير ، كما يلمس غموض الفكرة وشحوب الصــورة .. وقد علل بعض النقاد تلك الظاهرة بأن قصر الفترة الدراسية التى قضاها كل من الكاتبين فى جامعته .. وهى عام واحـد لكل منهما .. أبعدهما عن الدراسة المنهجية المنظمة مما تجلى أثره فى مسرحياتهما .. وهذا تعليل سطحى من غير شــك .. والصحيح هو أن تناول دخيــلة النفس الانسانية وتصــوير ما تهجس به من أحــلام وأخيلة وهواتف تصــويرا مسرحيا يتجسم فيه النزاع الأبدى بين ارادة الفــرد وبين مجتمعــه وظروفه والعقائد السائدة من حوله .. وبالأحرى بين وعى الفرد .. هذا الوعى المقيــد بألف قيــد .. وبين عقله الباطن أو (لا وعيه) الذى لا ينفك يتململ من قيود المجتمع وتقاليده وقوانينه التى تحول بينه وبين الانطــلاق .. وتحرمه بهذا التقييد من تحقيق رغائبه ولبانات نفسه الحبيسة المكبوتة .. نقول ان تناول دخيلة النفس الانسانية تناولا مسرحيا وعلى هذه الصورة لابد أن يبدو تناولا غامضا مبهما بعيدا عن الطرق المادية الملموسة أو المرئية أو المسموعة مما يتميز به المذهب الواقعى السطحى أو المذهب الطبيعى الفتوغرافى ، ومما يتميز به ذلك المزيج الرمزى التعبيرى —والصوفى أحيانا— عن الواقعية والطبيعية .. وهل مخزونات العقل الباطن يمكن أن

تكون الا بهذه الصورة المشوشة المضطربة التى يتداخل بعضها فى بعض ، ويطفو بعضها مرة ، ثم يغيض ليطفو غيره مكانه .. وهكذا .. دواليك .

ونعود فنقول ان سترندبرج هو أعظم الكتاب المسرحيين التجريبيين الذين لم يأخذوا بطريقة واحدة فى كتابتهم ، ومن هنا تعدد طرقه الكتابية وغرامه بالتجديد والابتداع فى عرض أفكاره ، وبالأحرى أفكار شخصياته والهواجس التى كانت تملأ أدمغتها .. واذا تذكرنا أن سترندبرج كان قد أصيب فى فترة ما من فترات حياته بخلل عقلى قضى بسببه بضعة أشهر فى مستشفى للأمراض العقلية ، ثم خرج منه ليواصل أقاصيصه ومسرحياته التى كانت صدى للتجارب المرة التى تجرع غصصها .. واذا تذكرنا أنه عاش طوال حياته بعـد هذا شخصا مصـابا بالفصام النفسى أو انشطار الشـخصية ، أو شخصا يحمل نفسيتين تخضع أضعفهما للعقل الواعى بينما تخضع أقواهما لعقله الباطن .. اذا تذكرنا هذا ، ولمسنا أثره بالفعل فى قصصه ومسرحياته ، سهل علينا أن نقيم وجه الشبه فى ذلك بين الكاتب السويدى العظيم وبين تلميذه أونيل الذى تكاد حياته أن تكون نسخة من حياة أستاذه .. حتى فى فترة مرض أونيل واستشفائه من انهياره الجسمانى والعصبى فى

المستشفى بنيويورك .. وخروجه من المستشفى ليبدأ تلك السلسلة الطويلة الخالدة من المسرحيات التى يباهى بها المسرح الأمريكى اليوم جميع المسارح العالمية ، والتى نلاحظ فى معظمها تلك الظاهرة التى يكاد أونيل ينفرد بها من بين كتاب العالم .. ظاهرة انفصام عدد كبير جدا من شخصياته المسرحية ، وتحدثها بلسانين ، وتفكيرها بعقليتين .. لسان تتحدث به أكثر ما تتحدث الى الناس ، ولسان آخر تتحدث به الى نفسها ، وتترجم به عن حقيقة ما تؤمن به وتود لو استطاعت أن تقوله وتجهر به .. لولا ما فرضته الانسانية ، وفرضه المجتمع على نفسه من أوضاع وآداب وقوانين ..

وكان أونيل لهذا السبب يلجأ الى طريقة النجوى Soliloquy والأحاديث الجانبية الفردية Asides القديمة لكى يجعل الشخصية تعبر عما يجول فى دخيلتها تعبيرا صريحا .. ثم يجعلها بعد ذلك تعتدل فتواجه الشخصية التى أمامها بكلام آخر مما يقتضيه المقام .. والنجويات والأحاديث الجانبية بدعة مسرحية فشت فى المسرح الانجليزى فى عهد اليزابث .. ونحن نجد منها شيئا كثيرا فى هاملت وماكبث .. ولكن أونيل يستعملهما استعمالا سيكلوچيا وعلى نطاق أوسع ، بل هو يستعملهما الى حد السرف فى بعض مسرحياته ،

كما نجـد ذلك فى مسرحية : Dynamo والفاصـل الغريب Strange Interlude ليجلو أمامنا دخيلة النفس الانسانية على حقيقتها وليفضح لنا نفاقنا الاجتماعى الذى لا نريد أن نعترف به ونحن غرقون فيه .. وهو فى مسرحية الاله الكبير براون يستخدم الأقنعة التى تشـبه فى التراث الخـرافى الشرقى « طاقية الاخفـاء » اذ لا تكاد الشخصية تضـع قناعها حتى تتحدث بلسان جديد وتفكر تفكيرا جديدا وتبدو شيئا جديدا مفاجئا .. فاذا رفعته عن وجهها عادت الى حالتها القديمة قبل أن تلبس قناعها ..

وبعض العاملين بالمسرح يخطىء حينما يرمى أونيـل بالسخف فى هذه البدعة التى ابتدعها .. لأنه ينسى أن هـذه الأقنعة وسيلة من وسائل الرمز .. والذين يدرسون علم النفس ويتعمقون فيه يعرفون أننا جميعا نلبس الأقنعة حينما يضطرنا المجتمع وتقاليده وأوضـاعه وآدابه وشرائعه الى النفـاق الاجتماعى والظهور بين الناس ومخاطبتهم بما قد لا تؤمن به ، وانما تضطرنا هذه التقاليد والأوضاع والآداب والشرائع الى هذا النفاق الاجتمـاعى ايثارا للسلامة .. والذين يتبجحون فيزعمون أنهم لا يبالون فى الحق لومة لائم لا يكادون يخلون الى أنفسهم مع ذاك حتى يحمدوا الله على الحرية التى يشعرون

بها فى تلك الخلوة ، فهم أحرار فى أن يفعلوا فيها ما شـاءوا مما لا رقابة لأحد عليهم فيه .. الرقابة !!.. الرقابة التى هى عين المجتمع الساهرة .. غول الأوضاع والتقاليد والآداب والشرائع التى سنها المجتمع .. أو أعمدة المجتمع كما رمـز ابسن .. لحمـاية الأقوياء فى الغالب ، وتمكينهم من رقاب الضعفاء .

فمن منا لا يستعمل الأقنعة !

وللأقنعة تاريخ قديم .. بل موغـل فى القدم .. ولعـل المصريين القدماء هم الذين اخترعوها .. واخترعوها لتجسيم أربابهم قبل كل شىء ، ومن هنا دخلت مسرحهم الذى كان مسرحا دينيا قبل كل شىء .. بل كان جزءا من طقوس المصريين وشعائرهم .. ثم انتقلت الأقنعة الى المسرح اليـونانى بكل ما كان يعرض من مآس وملاه وهزليات ساتيرية .. وقد كان أول استعمالها عن طريق الدين وتجسيم الآلهة أيضا على نحو ما كان يستخدم المصريون المسرح .. ثم تسامى بها اليونانيون فكانوا يجسمون فى أقنعتهم أدق المشاعر وأصغر خلجات النفس وكان الممثل يقف فى مواجهة الجماهير فيبدى هيئـة مختلفة عما يبديها وهو واقف وقفة جانبية الى اليسار أو اليمين ، ومن

هنا كان استخدام الأقنعة عند اليونانيين فنا من الفنون الرفيعة التى تتطلبها مسارحهم الواسعة الشاسعة

ثم ظهرت الأقنعة فى المسرح الانجليزى وطفـرت طفرة واسعة فى عهد عودة الملكية فى المسرحيات التنكرية الموسيقية ذات البهاء المنظرى الخلاب .. ولكنها فقدت وظيفتها القديمة .. وكذلك فقدت وظيفتها القديمة حينما استخدمها ممثلو الملهاة المرتجلة أو ال : Commedia dell'arte فى عصر النهضة .. اذ لم تعد شيئا أصيلا تصور به المشاعر الدقيقة أو الأحاسيس السامية ، بل أصبحت شيئا يقصد به وجه التهريج واضحاك الجماهير اضحاكا آليا فحسب .. ولعلها لم تكن غير ذلك فى الملهاة اليونانية ولا سيما فى عصرها القديم أيام أرستوفانز .

ولهذا كان لابد للمخرج الذى يتولى اخـراج مسرحية أونيل هذه — أى مسرحية الاله الكبير براون — أن يدرس موضوع الأقنعة دراسة عميقة ليعبر بها عما يريد أونيل ، وحتى لا يثير بها ضحك الجمهور أو يضيع بها التأثير المطلوب .

وقد استعمل أونيل الأشباح أيضا .. وللأشـباح قصة قديمة فى تاريخ المسرح .. اذ تطالعنا أول ما تطالعنا فى المسرح اليونانى ، وذلك فى مسرحية الفرس لاسخيلوس (٤٧٢ ق . م) حينما يأتى شبح أو روح الملك دارا من العالم الثانى بعـد

وقوع كارثة هزيمة الجيش الفارسى بقيادة أخشورشة — اكسرسيس — لبعض أبناء المستقبل .. وقد استخدم الكاتب اللاتينى سنكا هذه الأشباح على نطاق واسع .. وتلمذ عليه فيها شيكسپير وكتاب عصر اليزابث . أما سترندبرج فكان بارعا فى استخدامها براعة تامة ولا سيما فى مسرحيتيه السوناتا الشبحية ومسرحية الأحلام .. وعن سترندبرج تعلم أونيل استخدام الأشباح .. وهى من أبرز السمات فى مسرحيته الامبراطور چونس .

مسرحيات أونيل :

يقول يوچين أونيل فى الخطاب الذى كتبه الى بارت كلارك ، والذى أشرنا اليه من قبل : « لقد كانت أولى مسرحياتى هى مسرحية The Web ، ثم التحقت بمدرسة الأستاذ بيكر ٤٧ بجامعة هارڤارد حيث قضيت هناك العام الدراسى ١٩١٤ — ١٩١٥ وقضيت صيف سنة ١٩١٦ فى پروڤنستون .. وهو الصيف الذى تألفت فيه فرقة ممثلى پروڤنستون .. (أو فرقة P. P. اختصارا لاسمها Provincetown Players) .. تلك الفرقة أخرجت لى جميع مسرحياتى القصيرة الأولى تقريبا.. وذلك فىمدينة نيويورك » .

أما هذه المسرحيات القصيرة الأولى فكانت محاولات

يجس بها أونيل نبض المسرح .. والمهم هنا أنها شقت لأونيل طريقه الى مجده الكبير ، كما كانت سببا فى ذيوع اسم الفرقة التى أخرجتها .. وان تكن فى حد ذاتها مسرحيات بدائية لم يكن أونيل نفسه راضيا عنها كل الرضا .. حتى لقد عاد فأحرق منها ست عشرة مسرحية لتفاهتها ، بالرغم من أن فرقة واشنجطن سكويرپليرز المشهورة قد أعادت تمثيلها بعد أن استهلكتها فرقة پروڤنستون .

وتعد السنوات من ١٩١٤ الى ١٩٢٠ سنين الاعداد والتلمذة المسرحية فى حياة أونيل .. وقد بقى من مسرحياته القصيرة التى كتبها فى تلك المدة عدد لا بأس به .. لأنه لم يحرقه .. ومن ذلك العدد : الظمأ Thirst ، والقلق Recklessness ، وتحذيرات Warnings ، والضباب Fog ، ولعلها أحسن تمثيلياته القصيرة ..

وتمثيلياته الأولى هذه شديدة التأثر بتمثيليات سترندبرج الذى كان يصفه أونيل فيقول : « انه الكاتب الذى يبحث فى الحاح واصرار عما وراء الحياة .. وأنا أفعل كما فعل .. انى أبحث عن شىء أومن به وأنتمى اليه .. ولن أومن الا بالانسانية ولن أنتمى الا اليها » ولعله فى ذلك قد تفوق على أستاذه الذى كان يبدو وكأنه نسخة منه ولا سيما فى مسرحيته : قبل

الافطـار Before Breakfast ، التى قلـد فيها مسرحية ستردنبرج : الأقوى The Stronger وكل منهما نجـوى ذاتية يقوم بها ممثل واحد لا يزال يقوم بالفعل كله حتى تكتمل التمثيلية فى أذهان المتفرجين .

على آن سنة ١٩٢٠ هى نقطة التحول الفعلى فى حياة أونيل المسرحية اذ ظهرت فيها أولى مسرحياته الطويلة أو الكاملة .. وتلك هى مسرحية « وراء الأفق أو Beyond The Horizon » التى أحدثت أول دوى شديد فى المسرح الأمريكى ، وشقت طريقة الى اكتساب السمعة العالمية .. وقد نال بها أونيل جائزة بلتزر عن أحسن مسرحية أمريكية ظهرت فى ذلك العام . وهذه الجائزة ذات السمعة العالمية هى الجائزة التى أنشأها الصحفى الأمريكى الشهير جوزيف بلتزر J. Pulitzer (١٨٤٧ — ١٩١١) الذى خصص مبلغا كبيرا من المال لانشـاء مدرسة للصحافة بجامعة كولومبيا وخصص أرباح الباقى منه لمنـح جوائز سنوية عن أحسن أثر فكرى يظهر فى خمسة مجالات من مجالات التأليف من بينها المسرحية ودواوين الشـعر والتراجم والتاريخ والقصة الطويلة .

ومسرحية « وراء الأفق » من أروع المسرحيات التهكمية الساخرة .. انها دراما أخوين : روبرت الفتى الخيالى الذى

كان يحلم بأن يجوب أطراف البحار ويذرع الأرض طولا وعرضا .. وآندرو الفلاح الساذج الطيب النية السليم الطوية .. والذى كان ينافس أخاه فى حب بنت الجيران : « روث » تلك التى آثرت عليه أخاه روبرت فأنسته أحلامه ومغامراته الخيالية التى لم تخرج من دماغه مطلقا .. ويدفع هذا أخاه آندرو الفلاح الطيب فنراه يهجر المزرعة الى البحر ليكون هو الفتى المغامر جواب الآفاق .. وتمضى سنوات ثلاث نرى روبرت بعدها شخصا عاثر الحظ بائسا شقيا مع زوجته التى تكتشف فجأة أنها انما كانت تنطوى على حب آندرو .. الذى يعود فيرفع الغمامة عن وجه روث وعن وجه أخيه .. عن وجه روث لأنها تكتشف أن آندرو قد نسيها .. وعن وجه روبرت لأنه يرى أنه لا يزال فتى خياليا خاملا ولا نفع فيه .. ولم تؤثر فيه التجارب المرة التى مرت به .. ثم تمضى سنوات خمس أخرى يذهب خلالها آندرو الى الأرجنتين (!) حيث يحصل بجده على ثروة هائلة لا يلبث أن يفقدها بالمضاربة .. ويصاب روبرت بمرض صدرى .. ويموت ابنه الوحيد الذى كان عزاءه عما يشقى به من مصائب .. وينتهى حال المزرعة الى الافلاس .. ويزيد الطين بلة أن تعترف روث لروبرت بأنها لم تحبه قط ، وأنها انما كانت

تحب آندرو .. وأنهما قد خدعا نفسهما بهذه العلاقة الجنسية الطارئة التى أيقظتهما منها ضرورة التماس لقمة العيش التى لا يحسن الشعراء الخياليون الحالمون تحصيلها ، بدليل خراب المزرعة .. وفى حديث خائب بينهما نسمعهما يلقيان باللوم كله على الله .. كما يفعل الخائبون جميعا ..

ثم يلتقى الأخوان فيتهم روبرت أخاه بأنه سلك مسلكا غير أمين مع فطرته الطيبة وسلامة طويته القديمة حين ذهب يغامر فى سبيل المال .. فلما حقق منه ما يريد بعثره فى المقامرة..

ويشتد المرض بروبرت فيقضى عليه .. ولتتم الكارثة .. وان رأيناه يموت وهو راض كل الرضا .. لأنه الآن فقط يبدأ رحلته التى كان يحلم بها من قديم .. رحلته « وراء الأفق ! » وان اختلف الأفق .. واختلفت البحار هذه المرة !

وفى سنة ١٩٢٠ أيضا تظهر مأساة « الامبراطور چونس » الخيالية التعبيرية ، أو التى يصفها أونيل نفسه فيقول انها من « المذهب الطبيعى الأعلى Super-naturalism وهو يقصد بالمذهب الطبيعى الأعلى المذهب الطبيعى الذى يتجاوز السطح الفتوغرافى الذى يلتزمه الكتاب الطبيعيون عادة الى أغوار النفس الانسانية يخوض فيها ويتعمق أسرارها مرحلة مرحلة وخطوة بعد خطوة حتى اذا قاربت المسرحية نهايتها

رأينا تلك النفس تقف أمامنا عارية مفضوحة لا يسترها عنا ساتر .. ويعترف أونيــل أيضا بمناسبة ظهور مسرحيته هذه بأن سترندبرج وڤدكند هما اللذان هدياه الى ذلك المذهب .. بل انه ترسم فيه مسرحيات سترندبرج : مسرحية الأحلام ، وهناك جرائم وجرائم ، والسوناتا الشبحية .

والامبراطور جونس أو بروتس جونس هو ذلك الزنجى القوى الذى كان يعمل (شيالا) فى قطارات البولمان بالولايات المتحدة ويرتكب جرائم القتل والسطو كلما لاحت له الفرصة لارتكابها ، ثم يحكم عليه بالاعدام لكنه يفر الى جزر بهاما — وفى بعض الطبعات الى أفريقا — حيث مزارع القصب التى يعمل فيها مواطنوه الزنوج ، وهنــاك يلقــاه مستعمر انجليزى فيهىء له استغلال العمال والفلاحين الزنوج بفرض الأتاوات عليهم متذرعا فى ذلك باشــاعة الخرافات بينهم وأنه يملك قوى سحرية هائلة تتمثل فى تلك الرصاصة الفضية التى لن يقتل جونس الا بوساطتها .. وبهذا يتم لجونس السلطان على هؤلاء الزنوج حتى اذا ضاقوا به ذرعا أخذوا يتهيأون للثورة عليه وفروا الى الغابات المجاورة لقصره .. فاذا أحس جونس بذلك أخــذ الرعب يدب الى قلبه ثم تسلل هو الى الغابات يلتمس الشاطىء ليركب البحر فارا بجلده .. والمسرحية

تصف فى ثمانية مناظر فرار چونس خلال الغابة .. فنراه فى أول فراره جبارا قويا ثم لا يزال الذعر يتملكه شيئا فشيئا ولا تزال الأخيلة الغامضة والرؤى المليئة بالأرواح والأشباح تتبدى لنا من ذهنه هو حتى يقع فريسة سهلة آخر الأمر للزنوج الثائرين الذين صنعوا له رصاصة فضية يقتلونه بها .. مما تجد وصفه فى تلخيصنا الواسع للمأساة فى كتابنا أشهر المذاهب المسرحية التى نشرته وزارة الثقافة ، كما تجد فيه تفصيل الكلام عن المذهب التعبيرى .

وقد حول الموسيقار لويس جرونبرج هذه المأساة — أو الدراسة السيكلوچية للخوف — الى أوپرا سنة ١٩٣٢ ولمع فيها المغنى الزنجى الطائر الذكر پول روبسون .

وفى سنة ١٩٢٠ أيضا ظهرت مسرحية : Different أو « مسئلة مختلفة » ان صحت هذه الترجمة .. وهى دراسة سيكلوچية للجنس كما كانت « الامبراطور چونس » دراسة نفسية الخوف .. ويعترف أونيل هنا أيضا بأنه كتبها وهو متأثر بسترندبرج وڤدكند .. أجرأ من كتب فى سيكلوچية الجنس وعواملها الداخلية الصرفة .. وقد لجأ فيها المؤلف كعادته الى السخرية اللاذعة من أولئك المتطهرين الذين يغالون فى تطهرهم حتى يقعوا آخر الأمر فى المحظور الذى كانوا

يتحاشونه ومن ثمة ينتهون الى الخيبة والحسرة والندامة .. فهذه بطلة المسرحية اماكروسبى التى رفضت يوما ما الزواج من ربان بحرى بحجة أنه لم يكن نقيا نقاء كاملا من الوجهة الجنسية كما كانت تعتقد .. ثم يمضى بها العمر وهى شبه عانس حتى تقع آخر الأمر ضحية سهلة ولقمة سائغة لهذا الفتى الآفاقى بنى Benny قاتل النساء وأحد جنود الحرب العالمية الأولى الذى ينال منها ويذيقها ما كانت تفزع منه قبل احدى وثلاثين سنة كاملة . وقت أن كان العمر ربيعا.. والآن .. بعد أن صوح الربيع وأصبح العمر خريفا .. بل شتاء قارسا !

وندع مسرحيات : الرُّقية Exorcism ، والذهب ، وكريس كرستوفرسن التى كتبها جميعا سنة ١٩٢٠ ، تلك السنة الخصبة فى حياة أونيل الأدبية ، لنتحدث عن مسرحيتين مما كتب سنة ١٩٢١ ، احداهما مأساة : أنّا كريستى Anna Christi التى أعاد فيها عرض مسرحية كريس كرستوفرسن .. وأنّا بطلة المسرحية هى ابنة ربان بحرى سويدى نشأت فى بيئة ظالمة شقية فى وسط غربى الولايات المتحدة وقضت عليها ظروف حياتها بأن تشب عاهرا بل فى أرذل صور البغاء مما ملأ نفسها مرارة على والدها وعلى الدنيا جميعا . وتصل

الى نيويورك فتلقى أباها كريس لأول مرة فى حياتها بعد أن تركها طفلة لا تكاد تعرفه .. فتسافر معه فوق ظهر سفينة الفحم عابرة المحيطات حيث تتعرف الى بحار أيرلندى يدعى ماط Matt فتحبه .. ويتشاحن الوالد والحبيب من منهما يملك زمام الفتاة ويكون صاحب السيطرة عليها .. وتثور الفتاة على الرجلين .. على أبيها لطول اهماله اياها وعدم الاحتفال بأمرها طوال هذه السنين السود مما كانت له آثاره الوخيمة عليها .. وعلى الحبيب ماط لنزقه وغطرسته .. وفى ثورتها تبوح بكل نجاستها القديمة .. وبعد مشهد عنيف يفىء فيه كريسى الوالد الى ضميره ويعود اليه رشده كما يفزع بعده ماط الى كأسه .. يهدأ الثلاثة وتعد أنا المسكينة بأن (تتوب !) وأن تصلح من سلوكها القديم بالاقلاع عن حياة العهر .. وتترك أنا على البر لتسهر على شئون منزل الرجلين حين يعودان من عملهما فوق سفينة الشحن التى أقلعت بهما لتذرع أطراف البحار .

وقد كتب أونيل سلسلة من المسرحيات البحرية التى نشم فيها روائح من حيـــاته الأولى ومغامراته البحرية السائبة القديمة ، نكتفى منها بهـذه المسرحية التى تمثلها جميعا . والمسرحية وان تكن مغـرقة فى المذهب الطبيعى الا أنهـا

لا تفهم .. بل لا تطاق كما يقول فريدلى .. الا من ناحيتها الرمزية .

أما المسرحية الثانية التى كتبها أونيل سنة ١٩٢١ فهى مسرحية : القشة The Straw وتتلخص فى أن فتى وفتاة يقاسى كل منهما من مرض الدرن (السل) وينزلان فى مستشفى واحد يقع كل منهما فى غرام الآخر .. ويشفى الفتى من مرضه ويغادر المستشفى فتحزن الفتاة ويستولى عليها طائف من القنوط بل يكاد يقتلها اليأس .. لأنها تشعر أنها انما كانت تحيا لهذا الفتى وأنه كان أملها الذى من أجله تعيش .. ثم يأتى الفتى لزيارتها فى آخر المسرحية .. ولكن .. ليته لم يعد .. ان المسكينة تكتشف أنه لم يعد يهواها ! لقد ضاعت حتى آخر قشة كانت المسكينة تتعلق بالحياة من أجلها ! آخر أمل .

ولعل المسحة الرومنسية التى تصطبغ بها هذه المسرحية الناجحة ترجع الى أن أونيل كان قد كتبها سنة ١٩١٨ وان لم تمثل الا سنة ١٩٢١ .. ومن هنا اغراقها فى عاطفيتها وغرابتها على طبيعة أونيل التعبيرية .

وفى سنة ١٩٢٢ ظهرت مسرحيته : « الرجل الأول » التى فشلت فى المسرح بالرغم من جودة موضوعها الذى يدور حول ضيق زوج يشتغل بالعلم بزوجته التى جاءها المخاض وبدأت

تضع مولودها وتصرخ من الألم . مما أزعج صاحبنا الزوج لأن صراخها صرفه عما كان بسبيله من تفكير ، مما أشـاع بينهما روح التنافر وأدى الى ضيق الزوج بأقارب زوجته .. أولئك الذين راحوا ينشرون الشائعات والشكوك حولها بعد موتها بسبب ذلك النفور المؤقت العارض الذى حدث عنـد ولادتها .

لقد هاجم النقاد هذه المسرحية لا لشىء الا بسبب أبسط نقطة فيها وهى تلك الصرخات التى كانت ترسلها الزوجة وقت الولادة .. وهكذا صرفوا عنها الجمهور .. ولكن أونيل سخر من النقاد وسخر من الجمهور ، وفاجأ المسرح الجمهـورى بمسرحيته العظيمة : القـرد الكثيف الشعر التى ظهـرت فى سنة ١٩٢٢ نفسها ، وظهرت ترجمتها العربية مع مقدمتها الرائعة فى العدد الرابع والعشرين من هذه المجموعة .. انها قصة تلك النظرة المستهزئة التى نظرت بها الفتاة ميلدرد .. ابنة صاحب مصنع الصلب البيضاء .. الى هذا العامل الزنجى القوى يانك الذى كان يحسب أنه هو وبنو جلدته صانعو الحضارة الحديثة كلها لأنهم هم الذين يذيبون الصلب الذى يحمل صرح المدنية فى العالم بأجمعه .. وكان لهذا يعتز بقوته وبنفسه ، فاذا هذه النظرة تقلب موازينه الفكرية كلها .. وبعد أن كان ينتمى

الى شىء يعتز به أصبح لا يجد شيئا ينتمى اليه .. وهو لهذا يبحث عن هذا الشىء ، لكنه لا يجده .. ولا سيما بعد أن حاول الانتقـام من ملدرد فى شخص الجنس الأبيض كلـه ففشل .. وانتهى الى السجن .. ومن السجن الى حديقـة الحيوانات حيث يرى الغوريلا أو القرد الكثيف الشعر الذى يشـبهه ، فيحسـده عـلى أنه ينتمى ، ولا يزال ينتمى الى بنى جلدته .. المطلقى السراح فى الغابة .. أما هو .. فلا ينتمى الى شىء .. وفى ثورة عارمة يحاول البطش بالقرد .. لكن القرد يبطش به .. ويموت يانك وهو يقول : « والى أين يمكننى أن أذهب من هنا ؟ » .

وهكذا نجد الرمزية والتعبيرية يمتزجان هـذا الامتزاج الرائع فى المسرحية .. وهكذا يصور أونيل قضية الزنوج التى تستعر اليوم فى أمريكا نفسها ، كما تستعر فى جنوبى أفريقا .. وفى أنجولا .. بل تستعر بين الرأسمالية الاحتكارية الوبيـلة وبين الانسانية كلها .. كما يصور تلك المعـركة الأبدية بين الانسان وبين قدره الذى صنعته له ظروفه .. ممثلة فى ذلك الصراع الأبدى بين عقل الانسان وعقله الباطن ..

ومأساة الزنوج التى تصورها تلك المأساة النفسية الرهيبة لا تصبغ المسرحية بصبغة طائفية خاصة بفئة واحدة من البشر

مع ذاك .. فالمشكلة ليست مشكلة الزنوج فحسب بل هى مشكلة جميع الملونين ازاء الشعوب البيضاء .. ثم هى مشكلة الانسانية كلها حين يستعلى بعض المنتسبين اليها على بعض .
وأونيل كان انسانا ولم ينتم قط الا الى الانسانية .. حتى مذهبه الدينى نفسه قد هجره وانتمى من بعده الى الانسانية التى لا تفرق بين طائفة من البشر وطائفة ، وبين مذهب ومذهب .. ومن هنا دفاعه عن الزنوج ونصرته لانسانيتهم ، وتثريبه على بلاده وحكومتها التى قال عنها : « انها بلاد تعبد الثروة وتقدس المادة وتمثل أكبر فشل سياسى فى التاريخ .. وهى بالرغم من امتلاكها أعظم قدر من ثروات العالم لم تستطع أن تجعل لها جذورا حقيقية فى مجال القيم الروحية ، وذلك لأنها لا تفتأ تمارس تلك اللعبة القذرة .. لعبة محاولة الاستيلاء على أرواح الناس بالسيطرة على ما هو خارجها ، ثم التحكم فيه ، وذلك بامتلاك المادة التى تقيم أود تلك الأرواح .. متناسية ، وهى البلاد المسيحية .. ما جاء فى الانجيل من قوله : ماذا يفيد الانسان أن يكسب العالم كله اذا كان قد نسى روحه ! وليت شعرى .. كيف لا تحس بلادنا ببغض البشرية كلها المسلط عليها ! » .

وهذه الكلمة الخالدة التى أرسلها أونيل تفسر لنا دفاعه

عن ضحايا الانسانية من العمال والبحارة والفلاحين والفقراء في كل مكان .. انه يحاول أن يرد اليهم انسانيتهم ويشعرهم بشرف الانتماء اليها .

وفى سنة ١٩٢٤ ظهرت مسرحيته « ملتحمان Welded » التى يصور فيها شقاء زوج بزوجته وشقاء زوجة بزوجها .. شقاء لا مفر لهما منه ولا حيلة لأحد الزوجين فيه .. وهو الموضوع الذى غرق فيه أونيل الى أذنيه فى الجرى وراء ستردنبرج ؛ ومع ذاك نجحت المسرحية واستمر عرضها موسمين متتابعين .. وقد لجأت الفرقة الخبيثة « فرقة آل سلوين » الى عرض بعض مسرحيات ستردنبرج فى هذين الموسمين .. كأنها تذكر الجمهور بتلمذة أونيل للكاتب السويدى .

وظهرت أيضا فى هذه السنة مسرحية أونيل الناجحة «جميع أبناء الله نمت لهم أجنحة » All God's Chillum Got Wings التى يعالج فيها مشكلة الاختلاط الجنسى بين السود والبيض وما يتكشف عنه من كوارث رهيبة .. انها مأساة چيم هاريس Jim Harris ، هـذا الزنجى الذى يتزوج اللا داونى Ella Downey الفتاة البيضاء التى كان قد أحبها وأحبته اذ هما طفلان غريران فقيران ؛ والتى كانت قد أفسدتها فى كبرها حياة

اللهو حتى غدت عشيقة لأحد قطاع الطرق ؛ وأنجبت منه غلاما غير شرعى .. فاذا هجرها ميكى Mickey قاطع الطريق عادت الى حبيب طفولتها چيم فلصقت به ولم تزل تثير فيه هواه القديم حتى تزوجها .. لكنها تتزوجه لتشقيه شقاء لا حد له .. انها تستعلى عليه ببياضها ، وتذله لأنه أسود .. وچيم زنجى مجد نابه .. أكب على دراسة القانون ليكون محاميا والفتاة تقف فى طريقه حتى لا يسمو عليها بشرف العلم وسموق المركز ؛ فى حين أنها لا تعتز بشىء الا بانتمائها الى البيض ، وان كانت قد سفلت بماضيها الى حضيض المجتمع وحثالة البشر .. انها تحاول جهدها أن تجره معها الى بالوعتها .. وتنجح اللا .. ويخيب سعى چيم .. ويثور الشقاق بينهما .. وتحاول الشقية التى أصابها طائف من الجنون أن تقتله .. لكن چيم يستعيذ من الشيطان الذى يتلبسها بحبهما القديم .. حب الطفولة البريئة الطاهرة التى يذكرها بها وينشد لها ألحانها .. فاذا هى الطفلة الغريرة الصغيرة اللا مرة أخرى .. اللا النظيفة الطاهرة الذيل الصافية النفس الخالية من العقد النفسية .. الغارقة فى هوى چيم .. الذى عاد هو أيضا الى حبها منذ الآن .. وبعد أن نمت أجنحة لجميع أبناء الله ! » .

ولقد أثارت هذه المسرحية ثائرة الأوساط الكاثوليكية

على أونيل ، وهددت « بسلخ أذنيه ! » بوصف المسرحية فضيحة لمذهبهم ولجنسهم الأبيض ، بقدر ما هى فضيحة للنورديين (أهل الشمال) الذين كانوا يعرفون أن فى أونيل دما أو عرقا زنجيا أسود أو يعتقدون أنه كان يهوديا مارقا يتسمى باسم مسيحى لكى يقوم بدعاية مدمرة للبابا والبابوية ! .. كما وجه اليها بعض النقاد ألوانا من النقد القارس لأنها لم تحل فى نظرهم المشكلة العنصرية .. ناسين أن أونيل كان يتناول المشكلة من ناحية ذاتية صرفة . ناحية سيكلوجية يغوص بها فى أغوار النفس الانسانية .

وفى سنة ١٩٢٤ أيضا ظهرت مسرحيته « البحار العتيق The Ancient Mariner » التى يسترجع فيها حنينه القديم الى البحر .. والتى نرى فيها أثر كولردج الشاعر الانجليزى واضحا فى أونيل ، وهو أثر لا يخفى عمن قرأ منظومة الشاعر الانجليزى المسماة بهذا الاسم .

وفى هذه السنة أيضا .. سنة ١٩٢٤ ، ظهرت مسرحيته الجميلة : « رغبة تحت شجرة الدردار » التى صدرت ترجمتها العربية مع مقدمتها البديعة فى العدد التاسع والثلاثين من هذه السلسلة ، والتى تروى مأساة يوريبيدز « هيبوليت » ومأساة راسين « فيدر » الخالدتين ولكن فى أسلوب عصرى ، واتجاه

جديد .. وفيها يعشق شاب فى الثانية والثلاثين زوجة أبيه الذى تجاوز السبعين ، وماتت زوجته وشريكة حياته فتزوج فتاة فى ميعة الصبى وريعان الشباب ، فلم تلبث أن صبت الى ابن زوجها ، وأثمت معه وأنجبت منه طفلا لم تلبث أن قتلته بيديها ، لأنها لاحظت أن حبيبها الشاب قد ضاق بهذا الطفل خوفا على مزرعة أبيه من أن يئول ميراثها اليه .. فقتلت الطفل لتبرهن لحبيبها على أن حبها اياه أقوى من رغبتها فى امتلاك المزرعة .. غير أن أمرها ينكشف وتقدم الى القضاء الذى يحكم عليها وعلى الشاب .. ويعفى صانع الجريمة الحقيقى وهو الأب العجوز فلا يدينه بشىء .. لأن هذا هو القانون !

وفى سنة ١٩٢٥ أيضا تظهر مسرحية أونيل : « النبع The Fountain » ، وهى مسرحية شعرية رائعة النظم تروى قصة حب پونس دى ليو (١٤٦٠ — ١٥٢١) الكشافة الأسپانى الذى ذهب للبحث عن « نبع الشباب » الذى يعيد من يشرب منه الى ريعان الصبى الغض .. والمسرحية متأثرة بفن ميترلنك ولا شك وهى وان تكن لمحة رومنسية رمزية من شطحات الخيال لا تخرج عن نطاق العقل الباطن الذى لا ينفك يحلم .. لأنه مخزن الأحلام الذى يمتح منه أونيل .

وفى سنة ١٩٢٥ كذلك ظهرت تحفة أونيل البديعة : « الاله الكبير براون » وهى :

أو القطعة التجريبية العجيبة التى ملأها أونيل بالرمز .. والرمز الذى حشد له شيئا كثيرا من الرموز اليونانية القديمة الأسطورية .. ومن الرموز المسيحية ورموز عصر النهضة .. مما لا نستطيع أن نسيغه أو نهضمه الا اذا وقفنا على وجهة نظر المؤلف .. ومن هنا كان لابد بعد أن نقدم لك ملخص المسرحية أن ننقل لك ما كتبه أونيل نفسه عن هذه الرموز ، وما جعله الأستاذ م . و . شتاينبرج ذيلا للمسرحية التى نشرها فى مجموعته : Aspects of Modern Drama .. وليت الترجمة العربية كانت قد تمت عن طريقها .

والمسرحية مقدمة وأربعة فصول .

فاذا كانت المقدمة كنا فى ملهى بحرى فى احدى الموانىء الأمريكية ، وكنا مع أسرة هذا الشاب ابن الثامنة عشرة : وليم براون ، أوبيلى Billy ، كما سنجده دائما فى المسرحية .. ومع الشاب أمه وأبوه اللذان يثرثران عن فتى يدعى ديون أنتونى وعن أبيه البناء ، وشريك والد بيلى الذى يتهمه بأنه لا يترك له فرصة لكى يتوسع فى عمله .. ومن أجل ذلك فهو يفكر فى أن يرسل ولده بيلى الذى يقف معنا الآن الى الجامعة

ليدرس هندسة المعمار ، ولكي يكون بعد تخرجه شريكا فى شركة (أنتونى — براون.. وولده) أى ولده بيلى الذى تقول أمه انه كان يجيد رسم البيوت فى صغره .. ويقول الأب انه يملك كل مقومات النجاح ولا ينقصه الا أن يعمل بجد .. الى آخر هذه التزكيات التى تشيع الغرور ، كما تشيع الأمــل فى صدر بيلى .

فاذا انصرفت هذه الأسرة الصغيرة لم نلبث أن نرى أسرة صغيرة غيرها ، مكونة من ثلاثة أشخاص آخرين ، تدخل لتحل محل الأسرة الأولى .. فاذا نحن تلقاء أسرة ديون أنتونى الذى تحدثت عنه الأسرة الأولى .. ومع ديون أنتــونى الشـــاب ابن الثامنة عشرة أيضا أمه وأبوه .. ونلاحظ أن ديون هــذا أنحف جسما من بيلى وان يكن فى مثل طوله .. الا أنه يشبه بان Pan اله الغابات والمراعى والقطعان عنـــد اليونانيين القدماء .. والذى يقول عنه أونيل انه اله الخمـــر عنـــدهم أيضا .. كما يصفه فيقول انه فتى عصبى المزاج لا يعـــرف الهدوء .. يأتى كثيرا من الحركات العصبية المتوترة .. ووجهه — الآن .. مغطى بقناع تكسوه الحدة والصرامة .. وتعلوه غمامة مشوبة بالروحانية والشاعرية .. انه فتى عاطفى مرهف الحس ، يجمع الى براءة الطفولة ايمانا دينيا بالحياة .. وان بدا

أحيانا كهذا الاله پان المولع بالانغماس فى الشهوات الحسية ولذائذ البدن .. وقد لبس ملابس بسيطة : قميصا قذرا من الفانيلا الرمادية ، وسروالا قصيرا من الفانلا البيضاء وحذاء من القماش .. وهو ينعزل عن أبويه ليقلب عينيه فى ميــاه البحر التى لا تنفك توشوش رمال الشاطىء .

وتقول الأم انها تود لو ذهب ديون الى الكلية . ولكن الأب لا يرى ذلك .. لأن الكليات لا تخــرج الا الكســالى المتسكعين الذين يعيشون عالة على آبائهم الفقراء .. ولمــاذا لا يشق ديون طريقه فى الحياة كما شقها أبوه الذى لم يتم من التعليم الا مرحلته الابتدائية ، وهو الآن صاحب هــذه الشركة — شركة المقاولات المعمارية — ذائعة الصيت ؟

ويسمع ديون ما يقوله أبوه فاذا هو يستدرك : هذا المستر أتتونى هو أبى .. انه يحسب نفسه دائما الاله الأب ..

ويستاء الأب مما قاله ابنه الذى يضحك ويقفز .. ويعد أباه بأنه سيذهب الى الكلية ليتخرج فيها رساما .. وليكون أحسن من بيلى براون .. ولأن الكلية على كل حال خير من بيت أبيه .. ثم يقهقه وينظر الى السماء .. ويقول لأبويه .. هلما .. هلما نبحث عن القرد الذى فى هذا القمر !

ثم يخرج الجميع ..

وتدخل فتاة جميلة رائعة شقراء تتدفق حيـاة ويتطلق محياها محبة .. فاذا هى هذه الفتاة مارجريت التى يتنازع الغرام بهـا والفناء فى محبتها كل من بيلى براون .. وديون أنتونى .. ويدخل فى أثرها بيلى .. عاشـقها الولهان الذى يذوب وجدا وصبابة .

تدخل مارجريت وهى تغنى فى ضـوء القمر وهى تغنى أغنية « البدر الذى لا يعرف المحاق » فاذا بيلى الولهـــان يستزيدها ، ويقول لها : انها أغنية رباعية ، وانه لا يحفظ من الشعر شيئا مطلقا ، مع أن ديون أنتونى يحفظ منه الشىء الكثير .

يقولها هكذا فى بلاهة .. ولا يكاد ينطق باسم ديون حتى نرى مارجريت تطرب لسماعها اسم الفتى .. وحتى نحس كأن قلبها يكاد يثب الى أذنيها ليتلقف الاسم قبل أن يطرق سمع الفتاة .. الحسناء الشقراء ..

ويغص بيلى بريقه .. وكلما حاول أن يلفت مارجيت الى أنه هو أيضا يحبها ، بدت كأنها لا تسمع .. بل راحت تثنى على ديون وتقول : « انه يختلف عن جميع الآخرين .. انه يستطيع أن يرسم رسما جميـــلا .. وأن ينظم الشـــعر .. ويعزف الموسيقى .. ويغنى ويرقص .. وهو يقوم بهذا كله فى مهارة

وعبقرية .. وبالرغم من ذاك فهو يبدو دائما حزينا .. خجولا كالطفل .. ثم .. ثم .. أنا أحبه .. ويحلو لى دائما أن أمر بأصابعى خلال شعره .. وهو يعرف ما يخالجنى من هواه .. ويخامر قلبى من حبه .. آه يا ديون .. أحبــك .. أحبك .. أحبــك :

فاذا حاول بيلى أن يكون له هو أيضا نصيب من حبها .. وهم أن يقبلها .. لبست مارجريت قناعها لتعود الى حالتها العادية .. ولتقول لبيلى انها تحبه حقــا ، ولكن كما تحب الأخت أخاها ..

فاذا أيس بيلى من مارجريت قال لها : لا بأس .. انه أفضل أصدقائى على كل حال .. وسأعرف كيف أستفيد من هــذه الخسارة .. وحسبى أن أكون لك صديقا يا مارجريت ..
ثم تلبس مارجريت قناعها لتعود الى روحانية الحب وتقول : « أنا البحر وديون القمر .. فماذا لو عانق القمر البحر وقبله .. كم أود أن يترك ديون السماء وينزل الىّ .. وكم أود أن ينجرف موج دمى نحوه فيبارح قلبى ويتبع هواه ! (ثم تهمس فى طفولة) ديون .. مارجريت.. بجى.. بجى حبيبة ديون .. » :

ويقول لها بيلى انه ذاهب للقاء ديون وليخبره بأنهـا

هنا .. فلا تبالى مارجريت بما تسمع .. بل تستمر فى نجواها تقــول :

« سأكون مسز ديون .. وسيكون ديون لى .. لى أنا وحدى .. سيكون ولدى الصغير .. طفلى .. سيغرق القمر فى أمواج قلبى .. ويغوص آمنا فى أمواج البحر » .

وتنطلق مارجريت الى الخارج وهى تنظر الى بدر الليل السارى .. تاركة وراءها بيلى .. ولا تكاد تمضى لحظة حتى نرى ديون يدخل مسرعا وعلى وجهه قناعه .. فاذا جلس على احدى أرائك الملهى كشف عن وجهه قناعه فبدا وجهه المكتئب الحزين الرقيق .. ثم أخذ فى نجوى طويلة لا ينفك يسائل نفسه خلالها هذه الأسئلة المهمة التى تصــور لنــا شخصيته تصويرا بارعا ! .. « لماذا أخاف من الرقص ، أنا الذى أحب الموسيقى والايقاع والجمال والغناء والضحك لماذا أخاف من الحياة ، أنا الذى أحب الحياة وجمال الجسد والألوان الحية فى الأرض والسماء والبحر ؟ لماذا أخاف من الحب أنا الذى أحب الحب ؟ لماذا أخاف وأنا الذى لا يخاف ؟ لماذا أتظاهر باحتقار الناس وأنا الذى أشفق على الناس ؟ لماذا أتوارى فى احتقار نفسى من أجل أن أفهم ؟ ولماذا أخجل من قوتى كل هذا الخجل ، وأزهى بضعفى كل هذا الزهو ؟ لماذا أعيش فى قفص

كما لو أننى مجرم أكره الناس وأتحداهم .. وأنا الذى أحب الصداقة والوئام (وناظرا الى السماء) لماذا خلقتنى بغير جلد يا الهى بحيث اضطررت الى استعمال درع تصوننى من الناس وتصون الناس منى ؟ (ثم يضع قناعه على وجهه) .. أيها الاله الأزلى لماذا خلقتنى على الاطلاق ؟ لماذا بحق الشيطان ! » .

ويدخل بيلى فجأة كالذى يبحث عن ديون فيقــول له : « أتجلس هنا هكذا ومارجريت تنتظرك ؟ هيا أيها المعتوه .. اليها .. اليها ...

ولكن ديون ينظر الى بيلى ليقول ساخرا : « الرب يبارككم يا أولادى ! » .

يريد أن يقول انه يعرف أن بيلى يحب مارجريت .. وأنه يتنازل له عنها ..

ولكن بيلى يؤكد له أنها لا تحب سوى ديون .

ويتجهم ديون ويقــول : نعم .. أنا أحب بجى — أى مارجريت — ولم لا ؟ انها تحب وأنت تحب .. وكل النــاس يحبون .. العالم كله له حبيب يحبه .. الله يحبنا جميعا ونحن نحبه .. والحب كلمة .. شـبح كل كلمة .. رث الثيــاب مكشوف الوجه يستجدى الحيــاة على كل باب ومهما كلفه ذلك من ثمن ..

ويقول له بيلى انه مستعد لأن يسكن واياه فى الكلية فى غرفة واحدة ليراقب سلوكه .. ثم ينصرف .. وهنا يضع ديون قناعه على وجهه ويقول :

أيها الاله الذى فى القمر .. هل سمعت ؟ انها تحبنى .. وأنا لست بخائف .. اننى قوى .: وأستطيع أن أحب .. ان مارجـريت تحمينى .. وذراعاها تطوقاننى فى رفق ولين .. وسأشعر بالدفء فى جوارها .. انها جلدى .. انها درعى .. لقد ولدت الآن .. » :

وتدخل مارجريت وقناعها فى يدها فيثب نحـوها ديون فتذعر الفتاة وتتراجع ثم تلبس قناعها وتسأله : « من أنت ؟ لماذا تنادينى .. أنا لا أعرفك ! » .

فاذا باح لها بحبه اتهتمه بأن سكران .. وهنا ينتزع قناعه من فوق وجهـه فتعرفه مارجريت .. وعنـــد ذلك يطوقها بذراعيه .. وتعترف له بحبها وهـــو يقول لها : « انك نجم سمائى وطالع سـعدى .. وعيناك بحيرتان زرقاوان تنساب فيهما أحلامى الذهبية .. وجسدك شجرة حور بيضاء نضرة تتمايل تحت شفتى الربيع ! .. استرخى يا مارجريت .. أطلقى للدنيا العنان .. لنولد من جديد .. ولتذوبى فى النـدى .. فى الصمت .. فى الفرح .. فى الاله الكبير پان ! .. ثم .. لقد آن

الأوان لكى تتعلمى .. تعلمى لتكذبى كما يفعل الآخرون .. » .

وهكذا .. كلما وضعت مارجريت قناعها أنكرت ديون .. وكلما رفعته عادت الى حبه والتعلق به ..

ويقول لها انه سوف يتزوجها لتصبح مسز ديون أنتونى .. فتطرب أيما طـرب .. وهنا يلفها بذراعه .. ويبرحان الملهى الغارق فى ضوء القمر .

وهكذا تنتهى تلك المقدمة الشعرية الرمزية الجميـلة .. أو الـ Prologue اليونانى الذى كان يقـدمه الشاعر للجمهور يشرح به موضوعه ويلتمس من هـذا الجمهـور العـون والتشجيع .. ويقدمه لنا أونيل اليوم لغرض مختلف .. وليقدم الينا بعد ذلك فصول المسرحية الأربعة ، والتى يبدأ أولها بعد مضى سبع سنوات من هذه المقدمة الشعرية الرمزية الجميلة ..

اننا الآن فى غرفة متواضعة فى منزل ديون أنتونى الذى نراه وقد علق قناعه فوق صدره ليظهـر لنـا وجهه ..وجهه الطبيعى الذى بدا الآن شاحبا عزم صاحبه على أن يعتزل الناس وأن ينسحب من الحياة بعد أن تقدم به العمر .. وزهد فى العيش .. كما بدا القناع هو أيضا أكبر سـنا الآن .. وأكثر تهكما .. كما بدا الاحتقار فى نظراته أشـد حدة ومرارة .. وتغيرت فيه سمات الاله پان واتخذ صـــورة الشيطان ..

مفستوفوليس .. وراح يعيث فسادا ويتلف ويدمر ..

ويتناول ديون نسخة من العهد الجديد ويقلب صفحاتها كيفما اتفق ، ثم يشير باصبعه ليقرأ الآية : « الى جميعا أيها المثقلون بأعبائكم وسأهبكم الراحة والخلود » . وينظر حوله ذاهلا محتارا .. وينبس قائلا : « لسوف آتى اليك .. ولكن .. أين أنت أيها المنقذ المخلص ؟ » ويسمع صـوتا فى الخـارج فيضطرب ويسرع الى قناعه الساخر فيجعله على وجهه ويقول : « يا للمسيحية التليدة .. يا للأم الراسخة البنيان ! » .

وهنا تدخل مارجريت فى ملابس أنيقة ومعطف من الفراء .. الا أنها الآن أكبر سنا .. وأكثر نضجا .. لقد أصبحت أما .. وأما لثلاثة أولاد .. وبالرغم من ذاك فديون نفسه أكبر هؤلاء الأطفال..اننا نفهم منحديث بينهما أن ديونزوجكسوللايسعى فى طلب الرزق .. وهو دائما ثمل .. وقد اضطروا الى بيع منزلهم ليأكلوا .. ولم يبق من ثمن البيت الا مائة دولار .. وديون رسام يستطيع أن يرسم رسوما بارعة فلماذا لا يعمل ؟ لماذا لا يعمل عند بيلى براون الذى قابلته مارجريت فى الشارع وقال لها ان ديون يستطيع أن يرسم فلماذا يهمل الرسم ؟ انه يستطيع أن يلقاه فى داره ليتفق معه على العمل ..

وتثور النخوة فى رأس ديون فيرفض أن يصبح عبدا ذليلا

لوليم براون .. أى بيلى .. الذى يعـرف هو أنه كان يحب مارجريت .. وربما كان لا يزال يحبها .. ان الكبرياء تمنعه من ذلك ، ولو مات هو وأولاده جوعا ..

وتبتسم مارجريت ابتسامة حزينة .. راضية مع ذلك .. وتقول .. « لا بأس .. اذن فلأعمل أنا .. ولأقبل تلك الوظيفة المعروضة على فى المكتبة : .. » ويهز هذا قلب ديون .. ويأذن لزوجته بلقاء بيلى لتتفق معه على عمل ديون رساما عنده .. لأن « الكبرياء قد ماتت .. وطوبى للمتواضعين لأنهم سوف يرثون القبـور .. وطوبى للمسـاكين بالروح لأنهم عمى لا يبصرون ! » .

ويتغير المنظر لنكون مع مارجريت فى مكتب بيلى براون الذى يرحب بها ترحيبا (عميقا !) وتهنئة مارجريت عـلى ما أصاب من نجاح فى ميـدان المعمار .. فيشكرها بيلى ، ويحـدثها عن تصميم دار للبـلدية يعترض عليه المسئولون ويطلبون ادخال بعض الرسوم عليه حتى لا يبدو فى صـورة الأضرحة اليونانية .. فتستدرجه مارجريت ، وتذكر لها ديون.. ديون زوجها الذى قال لها عنه منذ أيام انه يجيد الرسم فلماذا لا يعمل ..

ويقول بيلى انه سمع أن ديون مأزوم ماليا .. وانه سمع

أيضا أن مارجريت تقدمت بطلب لوظيفة فى المكتبة .. فلماذا كل هذا ؟ وهو محتاج الى رئيس مقتدر لمساعديه فى المكتب.. فلماذا لا يكون ديون هذا الرئيس الى أن يعاوده مزاجه فى الرسم فيشرع فيه ؟ لقد باع ديون نصيبه فى الشركة بعد موت أبيه وخروجه من الكلية قبل أن يتم دراسته بها لوالد بيلى ، ولولا ذلك لأصبح شريك بيلى براون فى العمل ..

ويقسم بيلى براون أنه يود من قلبه أن يصبح ديون — هذا العبقرى ! — شريكه فى العمل .. ويستحلف مارجريت أن تتحدث اليه فى ذلك ، وألا يجعل لكبريائه سبيلا فى أن تضطره أو تدفعه الى الرفض .

وتعده مارجريت .. وتنصرف بعد أن حققت غرضها .. أو قل .. حلمها .

ونقفز قفزة أخرى حين يتغير المنظر لنكون فى منزل تلك البغى العاهر سيبيل .. وفى الحجرة التى تستقبل فيها أصحابها (!) .. ونرى فى الغرفة بيانو عليه منبه ، وعليه أيضا قناع سيبيل .. كما نرى أخانا ديون أتونى وهو مستلق فوق احدى الأرائك وقد راح يغط فى نوم عميق .. وقناعه واقع على صدره .. ووجهه الغافى يتقلب بين الشحوب والكآبة وبين الطهر والروحانية .

أما سيبيل ففتاة شقراء فى حوالى العشرين .. تتدفق صحة وتتبرج شـهوانية .. ذات نهدين بارزين » وردفين ثقيلين ، وعينين حالمتين خبيثتين تتلظى فيهما جمرات الغرائز المثيرة .. وقد راحت تمضغ فى فمها الفتاك قطعة من اللادن كما تمضغ البقرة الوحشية قضمة من الكلأ الأخضر اليانع .

وتوقظ سيبيل أخانا ديون بعد أن تضع يدها البضة على جبينه فينهض مذعورا وهو يقول : « ووضع يديه عليهم فاذا هم مبرؤون » ثم يفتح عينيه ليسأل الحورية التى أمامه : « ماذا ؟ من ..؟ أين ..؟ من أنت ؟ » ويتناول قناعه فيجعله على وجهه .

ونفهم من جواب سيبيل أنها عادت الى منزلها فوجدت أخانا مخمورا ونائما على السلم فأخذتها الرحمة به وأدخلته الى شقتها حتى لا تتعرض هى بسببه لمتاعب كثيرة .. وحتى لا يذهبوا به الى السجن .. » .

ويقول لها ديون فى انذهال : « طوبى للرحماء يا أختاه ! فعلتها وأنا مفلس ؟ ! لكنك ستنالين أجرك فى السماء » .

وتضحك سيبيل المتوحشة وتقـول : « اطمئن .. فأنا لم أضع أجرى .. ولماذا أضيعه ؟ .. ألم تكن سعيدا هـذه الليلة ؟ ! » .

ويقهقه ديون ويقول : « يا للروعة ! فأنت اذن لست من دعاة الأخلاق ! » .

فتقول له : « وأنت أيضا فتى طيب .. والآن .. هلم الى بيتك قبل أن يوصدوا دونك الباب ! » .

ولكن .. أى بيت ! لقد قلبت الفتاة دماغه .. وهو يطلب منها المزيد .. وهى لهذا تتناول قناعها فتلبسه .. ولتبدو فيه شيطانة تستعيذ منها الشياطين .. ولتسأله أن يفصح عن نواياه غير الشريفة ، لأنها لا تستطيع أن تقضى الليل بطوله مع زبون واحد .. « فهات لعبتك أيها الشيطان الصغير ! » .

ولكن ديون يخلع قناعه فتخلع هى أيضـا قناعها .. ثم يتعاتبان ، ويطلب اليها ديون أن تسمح له بأن يكونا صديقين.. فتقول له : « صديقين ولا أكثر ؟ » ويجيبها : « بل صديقين ولا أقل ! » .

ويدق الجرس ، وتفتح سيبيل .. فاذا الطارق : بيـلى براون ! بيلى براون الذى يسقط فى يده ويغشـاه الخجـل الشديد ، اذ يكون وجها لوجه هكذا مع ديون .. وفى هذه المباءة القذرة ..

ويحتج بيلى براون بأنه كان يبحث عن صديقه فى كل مكان بالمدينة .. وأنه لم يدر فى خلده قط أن يجده هنا .. فأما وقد

وجده .. فهو يعرض عليه أن يكون مساعده الأكبر كما طلب من مارجريت أن تعرض عليه .

واذ يبلغ الحديث هذا الحد يضحك ديون ساخرا مستهزئا ، لما يلاحظ من محاولة بيلى أن يغطى على فضيحته فى مجيئه الى هذا المكان .. ثم هو يضحك لأن مارجريت سعت سعيها بالفعل .. وعند من ! عند الحبيب القديم .. فاذا دافع بيلى عنها قائلا بأنها انما كانت تسعى لمصلحة براون الذى أضاع ما ورثه عن أبيه فى الشراب والمقامرة و .. الفسق .. أغرق ديون فى الضحك .. واستدرك قائلا انها انما كانت تسعى لمصلحة الزوج .. أى كاسب القوت .. « أيها الأحمق ! » .

ويتفقان آخر الأمر .

ويسأله ديون عما اذا كان كرسى أبيه هناك .. أى فى الشركة .. ويجيبه بيلى انه لا يتذكر .. فينتزع ديون قناعه ويقول : « أحب أن أجلس حيث جمع هو ما بددته أنا .. لشد ما كان أحدنا غريبا عن الآخر ! يوم رقد وقد فارق الحياة بدا لى أن وجهه ليس غريبا على .. حتى لقد حرت وساءلت نفسى : أين يا ترى التقيت بهذا الرجل من قبل ؟ اننى لم ألتق به الا لحظة ميلادى .. وبعد ذلك دب الخلف بيننا ، وأخذ ينمو ويشتد ، وينمو معه الخجل المتوارى .. وماذا جرى

لأمى ؟ لقد كنت أنا اللعبة الوحيدة التى سمح لها بها هذا الرجل .. ذلك الأب الوحش .. وأتذكر حينما ماتت من الهم أننى صرخت وطلبت اليهم أن يدفنونى معها .. ولما عرفت ألا فائدة من البكاء .. تراجعت .. وعدت الى الحياة بأعصاب عارية متوفزة .. ودار الزمان دورته .: واذا بفتاة أخرى تنادينى فى ضوء القمر .. وتدعونى ولدها .. وتتزوجنى .. وهكذا كان لى فيها ثلاث أمهات التقين فى شخص واحد .. أما أنا .. فرحت أسعى على كفىّ لكى أرى الله (وهنا يلبس قناعه) الا أن ذلك « الساخر العتيق » أعشى بصرى ، فكان على الآن أن أكف عن البحث عنه .. وأن أتجه بدلا منه الى « الاله الواحد الجاد الناجح الموجود فى كل مكان .. الى الاله الكبير مستر براون ! » .

ويسكته بيلى براون .. ويطفىء النور .. ويخرجان .. ونسمع ديون يقول على بعد وبصوت هامس : « أنا الشاة وقد جُزّ صوفها فأصبحت عريانة جرداء .. فهيا سقها برفق أيها القدير براون ! » .

***

ونصل الى الفصل الثانى — لكنا نصل اليه بعد سبع سنوات من نهاية الفصل الأول .. سبع سنوات كالتى مضت

بين المقـدمة وبين الفصـل الأول .. ونكون فى بيت سيبيل أيضا .. سيبيل بنت الهوى التى بلغت الآن السابعة والعشرين من عمرها .. ولا تزال تحتفظ بجمال وحشى صارخ .: ويكون أمامنا البيانو أيضا .. ومن فوقه قناعا سيبيل وديون .. الذى يبدو أنه أصبح زبونا مزمنا فى هذا الماخور !

اننا نراه هنا أيضا .. نراه وقد وخط الشيب رأسـه قبل الأوان .. فهو فى الثانية والثلاثين من عمره .. ومع ذاك يبدو وجهه كوجه ناسك عضه الألم وعذاب النفس ، الا أنه يفيض بنورانية داخلية وطيبة انسانية واشراق باطنى .

لقد جلسا يلعبان الورق على أنغام البيـانو الآلى الذى تصف سيبيل أنغامه فتقول انها تفيض بالشجن ، وتجعلهـا تعرف دخائل النفوس .. لأن الموسـيقى بكاء النفـوس وأفراحها .. أما ديون فيصف هذه الأنغام بأن كلا منها ترتيلة .. ترتيلة تحاول أن تجد الكلمة التى كانت فى البدء !

وتضحك سيبيل وتقول : « وعلى ذكر الموسيقى .. ان مستر بيلى براون يكره هذا الصندوق ويود أن نقذف به من هنـا .. » .

ولا تكاد تذكر اسم براون حتى يتجهم ديون ويثب الى البيانو ليتناول قناعه ويجعله على وجهه .. القناع الذى يبدو

الآن وبعد سبع سنوات جامعـا لكل سـمات الشيطان .. مفستوفوليس ..

وتمضى سيبيل فى حديثها فتقول : « .. ولكنى طلبت من بيلى ألا يتحكم فىّ تحكم الأزواج لمجرد أنه قام باعالتى ، والنفقة على ، بضع سنوات .. » .

وترفع سيبيل وجهها فترى مفستوفوليس فتبتسم وتقول : « الغيرة مرة أخرى ؟ » .

ويسألها ديون مما اذا كانت لا تزال تحب براون ؟ وتهزأ به سيبيل .. وبالحب أيضا .. وتقول ان برون شاب وسيم حقا .. وصحيح ومعافى .: بالرغم من كثرة آثامه .. لكنك تبالغ حينما تظن أن للحب أهمية بالغة .. فكيف ؟ .. ان الحب مجرد شىء من أشياء كثيرة يقوم بها الانسان ليحافظ على استمرار الحياة ! ..

ويسألها ديون عما اذا كانت قد كذبت عليه حينما قالت له انها تحبه ، فتقول له :

« انك يا طفلى لن تكبر أبدا .. كنا صديقين طوال سبع سنوات .. ولكنى لم أسمح لنفسى أبدا فى أن ترغب فيك . ولا لنفسك فى أن ترغب فىّ ! .. » .

وعند ذلك يخلع عنه قناعه ويرتمى عند قدميها ذليلا ثم

يضع رأسه فى حجرها ، فتقول له : « قم .. قم وانصرف الى زوجتك .. لشد ما أحزن عليكم أيها الرجال حتى لأود أن أجـرى عارية لأمنحكم جميعا ذلك الترياق الذى يجعلكم تنسون كل شىء » .

واذا قال لها ديون ان زوجته استدعت طبيبا فقال ان قلبه ضعيف ويوشـك أن يقف ولهذا فهو يمنعه من الشراب .. راحت تسخر منه ومن طبيبه ومن زوجته .. فاذا هو .. يطلب شيئا من الشراب !

ويخبرها أنه أصبح ضرورة فى أعمال بيلى براون الذى لم يعد أحد يقبل أعماله الا اذا تناولها هو بلمساته .. ليشيع فيه الجمال والروح .. والفن .. لكنها تطلب اليه أن ينصرف .. فاذا اتجه نحو الباب دعته اليها لتذكره بأنه نسى أن .. يقبلها .. ثم يخرج وهو يصفر فى هدوء ولا يكاد .. حتى يدخل بيلى براون .. وعلى وجهه مسحة من الغضب ، لأنه كان قد طلب من سيبيل أن تشجعه على المجىء الى هنـا .. لأنه زوج .. بل أب وله أبناء .. لكن سيبيل الخبيثة لا تهتم بما يقـول وتسأله : « ألست تحب زوجته ! اه ! ألست تحب مارجريت؟» ويثور بيلى ويسألها بدوره : « اذن فأنت عشيقة ديون ! بالله ! خبرينى ما الذى يجعل لديون كل تلك الجـاذبية للنساء ؟

أهى نظراته .. أم نزواته .. أم جموحه وجنونه ؟ » وتجيبه سيبيل انهن يحببنه لأنه ممتلىء حيـــاة ! وهنا يتناول يدها ويغمرها بالقبل ، ويرجوها أن تنسى ديون وتتخلى عنه .. وأن تكون له وحده .. وفى مقابل ذلك يضع تحت يديها ما تستغنى به عن الناس جميعا .. مقابل شىء واحـــــد .. هو ألا ترى ديون ..

وتقول له بل ديون هو الذى لن يراها .. وفى حــزن عميق .. تعده بما طلب وبهذا ينتهى المنظر الأول .

***

فاذا كان المنظر الثانى ، من الفصل الثانى ، كنا فى مكتب الرسم بشركة مقاولات المستر وليم أ . براون المعمارية .. أى مستر بيلى براون . وها نحن نرى ديون جالسا يقرأ لقناعه المطروح أمامه من كتاب « تقليد المسيح » وفى وجهه لمحة من نورانية القديسين . انه يقرأ : « سرعان ما تبرح هذه الأرض ، وحينذاك ترى كيف تسوى الأمور معك .. آه أيها الأبله ! .. تعلم الآن أن تموت من أجل العالم عسى أن تبدأ فى الحياة مع المسيح .. افعل الآن كل ما تقدر عليه لأنك لا تعرف متى تموت ولا تعرف ما أنت ملاقيه بعد الموت .. .. » .

ثم يرفع قناعه ويحدق فيه برفق ويقول : « عليك السلام

أيها المعذب المسكين .. ان ساعة خلاصنا آتية .. يا كبرياء الانسان المعذب المسكين » .

ويسمع وقع أقدام فيعرف أن مارجريت هى القادمة .. لقد أتت المسكينة تبحث عن ديون المسكين الذى لم يدخل بيته منذ يومين .. ولعله لم يذق فيهما طعاما ، وان عب كثيرا من الشراب ..

وتخبره مارجريت أن أبناءه الثلاثة قلقون عليه .. وأنهم بحثوا عنه فى كل مكان فلم يقفوا له على أثر .. ولكن ديون يضرع اليها أن تغفر له وتسامحه .. لأنه .. راحل .. وقد يكون هذا هو اللقاء الأخير .. « وغدا .. سأكون قد انتقلت الى الجحيم الآخر .. أنظرى الى زوجك .. أنظرى .. هـذا الأسير المسيحى الذى ينوح ويستعطف ويتنكر للحياة ! » .

ثم يخلع قناعه فماذا ترى مارجريت ؟ .. يا للهول ! انها ترى وجها شاحبا ناشز العظام كوجوه الموتى .. بل شبح ميت بالفعل ! .. ويغمى على مارجريت !

ثم يدخل أبناؤه الثلاثة .. وهم فى حوالى الرابعة عشرة والثالثة عشرة والثانية عشر على الترتيب .. ولا يكادون يرون أمهم حتى يركعوا عندها يصلون ..

ويقول لهم أبوهم انه راحل ! .. وسيلقى قبل ذلك مستر

بيلى براون .. وسوف تتلقى أمهم مكالمة منه .. أى من بيلى .. من هنــاك .. فاذا عاتبوه قطــع عليهم عتابهم .. وأوصــاهم بأمهم .. ثم أوصاهم بأن يمتلكوا هم الأرض ميراثا لمارجريت .. ثم يودعهم وينصرف .

***

وفى المنظر الثالث .. من الفصل الثانى .. نكون فى مكتب بيلى براون .. وفى غرفته الخاصة .: وقد جاء ديون ليناقشه الحساب قبل أن يموت .. وليقول له انه سبب جميع ما يقاسيه من مصائب .. منذ ذلك اليوم الذى كانا فيه طفلين يلعبان على شاطىء البحر .. وكان ديون يرسم صورة جميلة على الرمل فجاء بيلى وجعل ينظر اليه من ورائه .. ولما كان بيلى لا يعرف الرسم فقد حسد ديون ، وراح يضربه فجأة بعصا على رأسه .. ويركل الصورة بقدمه .. وهو يضحك .. بينما ديون يبكى !.. ومن يومها أصبح ديون صامتا فى الحياة .: يتخذ لنفسه قناع الولد الشرير — پان — يعيش فيه ، ويثور على اله ذلك الولد الآخر .. ويصون نفسه من قسوته .. أما الولد الآخر فلم يعترف قط بعاره .. وان تحول بالسليقة الى الولد الخير والصديق الخير والانسان الخير .. وليم براون .

ويصفه ديون فيقول له انه صبار لا شــوك فيه .. خنزير

برى مأواه الجبال ثم تحول حلوفا يطعمه العلاف ليجعل منه طعاما .. دون چوان يستعين على غرامه بغدد القرود ..

فاذا ثار بيلى وغمز ديون بأنه لا يصلح للقيام بدور پان .. وأنه أقرب الى باخوس — أو ديونيزوس — شيطان الخمر ، وأنه يكفر بالنعمة التى أنعم بها عليه بيلى حين أنقذه وأنقذ أولاده من براثن الفقر .. قال له ديون :

« على رسلك .. فقد كنت أنا عقلك المفكر .. وكنت أنا التصميم ذاته .. بل أنا الذى أنجحت التصميم .. كنت أسكر.. وأسخر منه .. كنت أرسم وأسكر لأنقذ زوجتى وأنقذ أولادى .. انك لم تستطع أن تصمم كاتدرائية قط .. لأنك لا تستطيع أن تصمم شيئا الا بنايات البنوك .. انك لا تؤمن الا ببطنك .. ومن اليوم .. لن تستطيع تصميم أى شىء .. اللهم الا ترميم منزل عشيقتى سيبيل .. لتجعله بيتا لزوجتى مارجريت !

فاذا اشتد سخط بيلى قال له يزيده :

لماذا لم تستطع أن تجعل امرأة تحبك قط ؟ ولماذا بقيت من أجل هذا الأخ الأكبر للنساء .. وصديقهن الحميم فحسب ؟ هل بسبب ثقتهن فيك .. أم بسبب احتقارهن لك ؟ لقد أحببت زوجتى مارجريت ، فلماذا لم تتزوج منك؟ وحاولت أن تسرق

منى سيبيل كما حاولت أن تسرق مارجريت .. أفلم يكن هذا وذاك بدافع الانتقام والحسد ؟

ويجن جنون ديون وتخور قواه .. فاذا هو ينتقل الى طرف الخيط الآخر .. وبعد أن يسقط قناعه عن وجهه .. فيبدو كوجه الشهيد المسيحى المشرف على الموت .. واذا هو يقول : « سامحنى يا بيــلى .. ســامحنى وادفنى .. وارنى التراب وانسنى حتى تعيش ســـعيدا .. وعسى أن تحبك زوجتى مارجريت .. وطوبى للمساكين بالروح ! » .

وينزعج بيلى برون .. ويصلى متمتما : « أبانا الذى فى السموات ! » .

ويردد ديون ! « أبانا .. » لكنه لا يتمها .. ويســــــلم الروح ..

يا عجبا !

ان الموت الذى كان يزعج بيلى قبل أن يموت ديون ، لم يعد يزعجه بعد أن مات ديون بالفعل .. انه يقول فى خمول وبلادة : « لقد مات آخر الأمر .. » ويكررها فى ذهول .. لكنه يقول بلهجة المنتصر بعد ذاك : « آخر الأمر ! .. » ثم يقول وقد بدا له وجه ديون الميت .. وجهه الحقيقى : « اذن فهذا هو أنت أيها المسكين الذى كنته فى الحقيقة .. ولا عجب

أن كنت مخبوءا .. ولم أكن أخاف الا من قناعك ! أفأنت اذن الذى أحبته مارجريت .. هذا الرجل الذى أعطانى نفسه .

ثم يحاول أن يلتقط القناع ويضعه على وجهه .. لكن دقا بالباب يصرفه عن ذاك .. واذا هو ينقل جثة ديون خلف الجهة اليسرى وينادى .. « من بالباب ؟ » .

واذا التى تدخل هى : مارجريت !

وترى الزجاجة التى كان يعب منها ديون فتقول ضاحكة انه كان أقسم لها بأنه لن يذوق الخمـــر .. فما تلك ... ؟ ويطمئنها بيـــلى .. ويقول انه هـــو الذى كان يشرب . فاذا سألت عن ديون أين هو ؟ ، قال لها انه فوق .. يأخذ حماما .. وانه ذاهب ليدعوه ويأتى به !

ويدخل أبناؤها فيحيطون بها .. ويزأطون .. وتسألهم عما اذا كانوا يحبون مستر بيلى برون ؟ ويؤكدون جميعا أنهم يحبونه .. فهو رجل ماهر وخير .. وهم يحبون أباهم أيضا .. بالرغم من ادمانه .

وتصرف مارجريت أبناءها حتى يهدأ الجو لأبيهم المرهق الأعصاب فيستجيبون لها ، ويخرجون .. ولا يكادون حتى يدخل بيلى .. بيـــلى الذى لبس قنـــاع ديون .. ولهـــذا

تأخذه مارجريت ملء ذراعيها .: كما يأخذها ملء ذراعيه .. ويطبع على ثغـــرها الحبيب قبلة كبيرة ملتهبة .. فتدهش مارجريت .. لأنه فى رأيها لم يكن يقبلها ، هكذا .. وفى مثل تلك القوة والعنفوان .. منذ أمد بعيد .. فماذا جرى ؟ .. حتى صوته قد تغير .. كما تغير كل شىء .. ألا ما أسعدها !

ويقول لها بصوت مختنق : هيا .. هيا نذهب الى البيت .

ويطوقها بذراعيه القويتين .. ويخرجان :

* * *

ونصل الى الفصل الثالث وليس معنا ديون.. انه لن يكون معنا الا بروحه !

فنحن الآن فى مكتب بيلى براون .. وقد جلس رسامان فى غرفة الرسم ، المتصلة الآن بباب فى جدار بينها وبين مكتب براون يرسمان .. ويثرثران .. ويعجبان لانقطاع ديون عن العمل طوال هذا الشهر .. ولفصل بيلى جميع موظفيه القدامى فجأة ومرة واحدة .. ولتغير أطواره تغيرا غريبا ..

اذن فلا أحد يعرف مصير ديون غير مستر بيلى براون ..

وتدخل مارجريت فتعجب من تغير مكان زوجها .. وتعجب أكثر من قول الرسامين ان مستر براون قد أصـــدر أوامره بتوفير جو من الهدوء لديون .. فاذا سألت مارجريت أين

يوجد زوجها .. أنكرا معرفة ذلك .. حتى يدخل بيلى براون بقناع مشابه لما كان عليه فى المنظر السابق .. ويصافح مارجريت التى تبادله التحية بصعوبة وريبة .. فاذا سألت أين زوجها أشار باتتقالهما الى مكتبه الخاص ليشرح لها الأمر .

ويقول براون ان ديون مشغول بتصميم لمبنى الحكومة الجديد .. وعلى هذا التصميم يتوقف مستقبله .. وهو اذا نجح فيه أصبح شريكا لبراون.. ويسألها متخابثا : « ألم يخبرك بذلك ؟ » فاذا أجابت أن « نعم » قال لها : « لذلك هو يحبس نفسه استتبابا للهدوء وعملية الخلق التى تستلزم هذا الهدوء .. » .

ولا يستطيع بيلى أن يصل حبل نفاقه أكثر من هذا .. انه ينفجر فجأة ليبوح لمارجريت بحبه القديم الذى لم يعره البلى قط .. وهو لهذا يطلب منها أن تتناسى ديون .. وأن تتناساه الى الأبد .. وأن ترحل معه الى أوربا ليقيما فيها عامين :

« انسه يا مارجريت .. وفكرى فىّ أنا .. فأنا أحبك .. أهجريه .. وتعالى معى نرحل .. سأبيع ما أملكه هنا .. ونسافر الى الخارج لننعم ثم بالسعادة .. » .

وتحسب مارجريت أن براون قد جن .. أو مريض على الأقل .. وتكاد تستدعى له طبيبا .. لولا أنه يرفع قناعه ، فاذا

هو متطامن كالحمل ، واذا هو يعتذر مما صدر عنه ويرجوها أن تنسى ما قاله .. وأن ما حدث لن يحدث مرة ثانية .

وتخرج مارجريت .. فاذا هو يتنــاول قناعه ويقول له محدقا فيه : انك ميت يا وليم براون .. ميت لا يرجى له بعث أو نشور .. ان ديون الذى دفنته فى حديقتك هــو الذى قتلك .. » .

ويطرق الباب طارق فيقطع عليه نجواه .. انه رجل ثرى كان قد كلف براون بتصميم عمارة تبلغ نفقات بنائها نصف مليون من الدولارات .. لكن التصميم لم يرقه .. لقد أتى تصميما كريها لا ذوق فيه ولا حياة ولا جمال .. انه تصميم أشبه بضريح الموتى منه بمنزل لسكنى عين من الأعيــــان الوجهاء .. ان الرجل يطالب براون بأن يعهد بالتصميم الى هذا الرسام الماهر المدعو ديون .. أئتونى ديون .. فأين هو ! لماذا فصلته من العمل .. ؟

« اطمئن يا عزيزى .. انه لم يفصل .. وسأحيــــل اليه التصميم لتنفيذ رغباتك ! » .

* * *

وننتقل الى المنظر الثانى فنرى بيلى براون يجلس فى ضوء مصباح خافت ليقلب النظر فى قناع ديون مرة ، وفى قناعه هو

مرة ثانية .. ثم اذا هو يخاطب قناع ديون قائلا انه لا سبيل الى تجنب الفضيحة بعد اليوم .. وانه لابد من تنفيذ الخطة التى اتفقا عليها بعد أن أتما وصيتهما والتى ترك فيها براون جميع أمواله لأنتونى ديون .. وألا بد من السفر الى أوربا ليتم اغتيال براون هناك .. « أما براون الذى يعيش فى داخلك » .. أى فى داخل ديون فسيعيش هو ومارجريت حياة سعيدة أبدية.. وسوف ينجب منها أطفالا » .

ويخيل اليه أن أصواتا تصدر مستهزئة من داخل القناع فيقول بازدراء : « على أى حال هذا لا يهمنى .. فأولادك يحبوننى الآن أكثر مما أحبوك .. ومارجريت تحبنى أكثر .. فهل تظن أنك ظفرت لأننى ذهبت أتوارى داخلك لكى أعيش من خلالك ؟ .. كلا ياصديقى .. وما عليك الا أن تنتظر لترى أن مارجريت بمرور الزمن تحب ما يكمن فى داخلى .. وعندئذ أعترف لها بأننى سرقت مكانك .. فتفهم .: وتعفو .. وتقع فى غرامى ! .. » .

ثم يتناول قناع ديون ويجعله على وجهه ويقول : « أنا الآن أتعاطى قوتك يا ديون .. قوتك على أن تحب .. وعلى أن تموت وتنام وتصير ترابا خصبا مثمرا .. كما أنت فى حديقتى الآن .. ففى ضعفك ازدهارى .. تعال معى يا مستر أنتونى

طالما أن عريس مارجريت يرتدى ملابسك ، فأنا أحتاج الى الشيطان عندما أكون فى غسق الظلام ! » .

ثم يدخل الغرفة المجاورة ليلبس ملابس ديون .. ويخرج ليقول لقناع ديون : « أنا أحبك لأنها تحبك .. وها أناذا أطبع قبلاتى على شفتيك من أجلها هى .. » .

ثم يلبس قناع ديون ويقول : « هيا لننطلق من الباب الخلفى .. يجب ألا أنسى أننى مجرم يائس .. تطارده نفسه .. ويطارده الله ! » .

* * *

وفى المنظر الثالث الذى يجرى فى منزل مارجريت الذى مر بنا فى المنظر الأول من الفصل الأول .. نرى بيلى براون — تحت قناع ديون وفى ملابسه — وهو يزور مارجريت زيارة صاخبة يتبادلان فيها القبلات الحارة وألوانا من العناق المضطرب .. وهى تبدى له عن فرحها به وعودة أيامهما الخوالى بكل حبها وحرارتها وخصبها .. وتعترف له بأنه جعلها من جديد انسانة سوية سعيدة .. سعيدة جدا .

وهنا ينتهز بيلى فرصته فيسألها : « اذن فأنا جعلتك سعيدة .. وأسعد من أى وقت مضى .. ولا يهم ما يحدث .. بل هذا يبرر كل شىء !

وتجيبه مارجريت : « طبعا .. هذا يبرر كل شيء ! .. وقد أصبح الأولاد راضين عنك لأنك لم تعد عصبيا كما كنت من قبل ! » .

وتحدثه عن «براون» .. و « متى يأخذك شريكا له ! وهل صحيح أنه سيترك لك المسئولية كاملة عندما يسافر الى الخارج ؟ .. انني لا أثق فيه ولا في وعوده مطلقا » .

فاذا سألها لماذا ؟ أجابت :

« لا شيء .. أمر سخيف جدا .. لقد أخافني وجهه الذي كان شبيها بوجه الجثة حينما راح يبوح له بحبه .. فلما نهرته لم ينشب أن اعتذر لي .. مسكين بيلي هذا ! » .

ويصرخ بيلي براون الذي يلبس قناع ديون :

« أجل .. مسكين .. مسكين بيلي .. ولكني سأقتله من أجلك .. وسأقدم اليك قلبه على طبق في طعام الافطار ! .. انني سأغتال من أجلك هذا الاله الكبير براون الذي يقف كالعجل السمين في طريق سعادتنا وصحتنا وثروتنا ! » .

وترجوه مارجريت ألا يفعل .. لأنها لم تنظر الى بيلي براون الا على أنه صديق .. صديق عجوز .. غبي .: أحمق !

ويرجوها بيلي المسكين أن تتركه وحده قليلا لأن عنده بعض ما يعمل .. فتتركه وتنصرف الى الداخل بعد أن يؤكد

لها أنه سعيد .. وانه صافى النفس .. وأنه سـوف ينسى .. وليم براون . أى بيلى براون .. أى نفسه !

ولا تكاد تغيب عن ناظريه حتى يتمتم : « مبنانا الجميل الجديد يناديك يا مستر ديون .. اننا سوف نفتن فى اخفـاء الشيطان القديم صيلينوس .. ونتركه يرقص فوق رؤوس واضعى القوانين ! » .

* * *

ونصل الى الفصل الرابع ، ونكون فى منظـره الأول فى غرفة الرسم المتصلة بباب فى جدار بغرفة مستر براون ، وقد جلس الرسامان كعادتهما .. يرسمان .. ويثرثران .. ويستخفان بمستر براون الذى لبس قناع ديون وألقى بقناعه هو جانبا وراح يخاطب تصميم العمارة الذى أصبح تصميما صـالحا يطرب له الحمقى المجرمون .. ويعجبون بواجهته ذات الأبهة والجـلال التى تكشف له عن نفسـها فاذا هى ضحكة اله (الخمر) بان .. تلك الضحكة الساخرة المتهافتة التى يطلقها وأذناه مثقلتان بدوى سقوط الحضارات السابقة ، والحضارات التى سوف تجىء .. تسترقان السمع الى براغيثه وهى تجيز القوانين التى فيها استعباده واذلاله !

ان براون يرى فى نفسه الآن أنه أصبح كل شىء .. مدير

الشرطة .. ووكيل النيـابة .. ومعاون البـلدية .. والناخب وعضـــو البرلمان .. والحـاكم .: والسـناتور .: ورئيس الجمهورية .. وكل شيء ! حتى الاله الخير كما يصفه أكثر الناس ! ..

ويضحك عليه الرسامان .. ويرثيان له لكثرة ما شرب من الخمر ..

وتدخل مارجريت غرفة بيـلي براون فيتلقاها فى تأدب ، ويسألها عما يستطيع أن يفعل من أجلها . فتقول انه يرهق ديون بالعمل الى درجة الموت ، وانها ترجوه أن يخفف عنه حتى لا ينهار بالفعل .. من أجلها هى .. ومن أجل أولادها ..

ويطمئنها براون .. واذا ضحك فجأة وبلا سبب .. وفزعت مارجريت من ضحكه عاد فطمأنها ثانية .. « لأننى لن أطارحك الغرام .. وأقسم لك .. ولأننى أقرب الى القبر من أن أرتكب تلك الحماقة .. كما حدث فى المرة السابقة ! » .

واذا أراها الرسم وقال لها ان ديون قد فرغ منه .. طلبت اليه أن ترى ديون .. فيضحك .. ويستأذنها .. ويدخل غرفة مجاورة ليلبس قناع ديون .. وملابسه أيضا .. ثم يخـرج لتأخذه مارجريت فى حضنها الدافىء .. ويغيبان فى قبلة عميقة عاطفية .

وتسأله متى يستطيعان أن يبدآ شهر عسلهما الجـديد فيقول لها ان ذلك قريب جدا .. أسبوع أو نحوه ، ويسافران الى أوربا .. لكنها تلاحظ أن مستر براون قد أصبح يسرف فى الشراب .. ثم تنظر اليه لتقــول منزعجة انه يشبه مستر براون ، يشبهه تمــاما .. فيطمئنها .. لأنه يكاد يكون الآن توأمه ..

ثم تستأذن فى الدخول عليهما لجنة جاءت لمعاينة الرسم .. وأعضــاؤها الثلاثة يقفــون الآن فى غرفة الرسامين .. فتهم مارجريت بتقبيله وترجوه أن يلحق بها فى المنزل .. ولكن أحد الرسامين يطرق الباب مؤذنا بحضور اللجنة : يا مستر براون !

ولا يرتبك براون .. بل يستأذن مارجريت فى أن تستقبل هى اللجنــة حتى يحضر لهم مستر براون ! .. فاذا خرج .. دخلت اللجنة .. لتدهشهم رؤية مارجريت !

وتشير مارجريت الى الرسم وتقول لهم انه كله من عمل زوجها .. زوجها العبقرى ديون .. وقد أتمه اليوم فقط !

ويدهش القوم .. لأنهم يعلمون أن ديون ترك العمل هنا منــذ زمن .. فاذا عرفت سر دهشتهم ثارت .. ورمت براون بالنذالة والجبن .. والحقارة . ولكن براون يسمعها وهــو يدخل لابسا قناعه .. ويسألها عما اذا كانت تكرهه حقا . ؟

وتتخاذل مارجريت وتعتذر .. ويعترف براون بأن الرسم هو من عمل ديون .. وما دام يعجبهم .. فهو يتناوله ويمزقه أربع مزق .. ويلقى به فى وجوههم .. بعد أن يقول ان قبولهم للرسم واعجابهم به اهانة .. اهانة يلقى بها فى وجه نجاحنا هذا المنكود المسمى أنتونى .. ديون .. اهانة لكم .. ولى .. ولك أنت يا مارجريت .. وللاله القدير ..

وتفزع مارجريت .. وترميه بالجبن وبالخسة .. وتستنجد بزوجها ديون .. بعد أن تلتقط الرسم الممزق وتضمه الى صدرها ..

وفى أثناء ذلك يغيب براون الى الغرفة ليلبس قناع ديون .. ثم يدخل فجأة ليقول لهم ان المستر براون قد مات .. وانهم سوف يجدونه فى الغرفة الصغيرة ..

ثم يتوارى عن الأنظار .. ويسمعونه وهو يثب خاطفا الدرج خطفا ..

ويندفع أحد الرسامين الى الغرفة صائحا : المستر براون قد مات !

ويهتف أعضاء اللجنة بأن ديون هو الذى قتله !

أما مارجريت فتقف باهتة مذعورة .. بينما يدخل أعضاء اللجنة الغرفة الصغيرة ليعودوا منها بقناع براون وقد اصطفوا

فى مستطيل .. وكأنهم يحملون شبح القتيل .. ويمددونه فى رفق على الأريكة .. ناظرين اليه فى صمت وخشوع وحيرة

وبعد لحظة يقترح أحدهم أن يذهبوا لمطاردة ديون .. فاذا قالت مارجريت ان ديون برىء .. قال أحدهم ..

بل .. لنتصل بالشرطة .. ويحمل سماعة التليفون !

* * *

ثم ننتقل الى المنظر الثانى لنكون فى مكتبة وليم براون .. ولنرى قناع ديون فوق المكتب وبراون جاثيا عاريا لا يستره شىء الا ما يستر العورة .. وقد شخص ببصره الى السماء .. وراح يصلى لله هذه الصلاة الغريبة التى يقول فيها : « رحماك يا رحمن يا رحيم يا منقذ الانسان .. انى أدعوك من صميمى .. رحماك بى .. أنا هذا المسكين الذى خلقته من تراب أرض غير مقدسة » .. ثم يخاطب ما تناثر حوله قائلا : « آسف يا أبنائى فالاله قد سئمنا ورحل عنا الى كوكب آخر .. كوكب بعيد فتان .. الحياة على ظهره لهيب يرقص ! وبدونه أصبح حتما علينا أن نمـوت .. » ثم يخاطب قناع ديون فيقول : « وأنت يا صديقى ! خلّ مارجريت تعانى .. ودع العالم كله يعانى كما أعانى .. » .

وينفتح الباب فاذا الداخلة سيبيل ! لابسة قناعها ! وفى

ثوب يابانى فضفاض — ونعل يابانية أيضا .. وبشعرها الأصفر المتهـدل .

ويناديها براون : « سيبيل .. كيف عرفت أننى هنا .. لقد كنت ذاهبا اليك !

وتنتزع سيبيل قناعها لتقول له : « أفهذا اذن هو السبب فى انقطاعك عنى .. أنت .. يا ديون براون !

ويقول لها انه رفات وليم براون .. ويشير الى قناع ديون ويقول : « أنا قاتله وقتيله » ..

وتحذره سيبيل وتنبهه الى وجوب الهرب .. لأنهم فتشوا بيتها بحثا عن القاتل .. وهم لابد أن يأتوا الى هنا ليقبضوا على أحد .. أو ليقتلوا أحدا .. ويجب أن يسرع بالفرار .

ولكن براون يدهشنا كما يدهش سيبيل بقوله لها انه تعب .. تعب جدا .. ولا يريد أن يسرع .

وتسمع أصوات رجال الشرطة فى الحديقة فيمد براون يده الى قناع ديون قائلا له : « شكرا لهذا الجميل الأخـــير يا ديون .. لقد أقبل الآخذون بثأرك ! انهم يقفون على قبرك فى الحديقة ! » .

لكنه يلبس قناعه ويناديهم : أيهـا العابدون الهكم .. ها أنذا .. الهكم الكبير براون .. نصحنى بعضهم بالهـرب

منكم ولكن قدرتى شاءت ألا أهرب الا راقصا فوق نفوسكم الذليلة الخاضعة .

ولا يكادون يرونه حتى يبادروه رميا بالرصاص .. واذا رصاصة نافذة ترديه ..

وتسرع سيبيل الى جانبـه فتنتزع من يده قناع ديون قائلة : « لا تستطيع أن تأخذه معك الى الفراش .. عليك أن تذهب وحدك لتنام .

وتضع قناع ديون فى مكانه فوق المنضدة .. ويشـتد الهرج والمرج فى الحديقة .. وتلبس سيبيل قناعها .. ثم يدخل الشرط شاهرين مسدساتهم نحوها .. ومارجريت من ورائهم .. والرسم فى حضنها لما يزل .

وينظر القـائد الى جثة براون فيسأل عن صاحبها سيبيل فتقول له : انك أنت قاتله .. فاتركنى معه حتى أستجوبه !

ويتركها الشرط معه ويخرجون .. فاذا هى تلقى عـلى براون ثوبها اليابانى الفضفاض .. واذا براون يعالج سكرات الموت ، ناظرا اليها ، وهو يقول بلهجة شاكرة :

« أيتها الأرض الدافئة .

فتقول له : صمتا يا بيلى . اذهب لتنام .

ويقول لها : سمعا يا أماه .. كان الظلام دامسا فأصابونى .

وتقول : أعرف أنك متعب .

ويقول : وعندما أستيقظ .

فتقول : ستشرق الشمس ثانية !

ويقول : لتحاسب الموتى والأحياء .. أنا لا أريد العدل .. ولكنى أريد الحب !

فتقول سيبيل : ولا يوجد هناك غير الحب .

ويموت براون .. وتنحنى عليه سيبيل تقبله .. ثم تنهض لتنظر فى الفضاء وتقول : « أبدا يعود الربيع حاملا فى طياته الحياة .. أبدا .. أبدا .. أبدا .. » :

ثم تدخل الجماعة ومعهم مارجريت .. فتلتقط قناع ديون .. وتبكى فيه حبيبها وزوجها .. وولدها .

أما القائد فيسأل سيبيل عن الميت فتقول : « انه الانسان » .

فيحاول أن يكتب الكلمة فى مفكرته .. لكنه يسألها : وكيف تتهجينه ؟ ! » .

ولا يريد أونيل أن تنتهى مسرحيته عند هذا الحد .. بل هو يأبى الا أن يجعل لها خاتمة .. أو Epilogue كما كان بعض الكتاب اليونانيين يصنعون .. فهو يأخذنا من جديد الى افتتاحية مسرحيته ، وبالأحرى الى هذا الملهى البحرى

الجميل الذى لقينا فيه آل برون وآل أنتونى ديون .. حينما كان المحبون لا يزالون فى ميعة الصبا ورونق الشباب .. اننا ننتقل الى هناك لنكون مع مارجريت وسط أبنائها الثلاثة .. وقد مرت الآن سنوات أربع على حوادث الفصل الأخير .. وأصبح أكبر الأولاد فى الثامنة عشرة أو نحوها .. وهاهم من حول أمهم التى وخط المشيب رأسها .. وبدا الزمان فى وجهها وقوامها .. كالجند من حول القائد .. وهى تلاطفهم وتوصيهم ألا ينسوا أباهم أبدا .. وهم يعاهدونها على ذلك .. ثم هى تأذن لهم فى الانصراف ليكونوا داخل الملهى حيث يراقصون فتياتهم .. اذ لا يجب أن يقضوا أوقات فراغهم مع أم عجوز مثلها .. ويتركوا هذه الموسيقى الساجية لا تجد من يراقص فتاته على نغماتها .. ثم هى تقول لهم أن يدعوها وحدها مع هــذا القمر الحبيب الذى تعاهدت وأباهم فى قمرائه عــلى الزواج .. من زمان .. من زمان ..

ويطرب الأولاد للفــكرة .. وينطلقون الى الملهى .. ثم تفرغ مارجريت الى نفسها لتشخص ببصرها الى حبيبها القمر وتقــول :

مضى زمن طويل وبقيت أنا .. كما أنا .. مارجريت . ان حياتنا وحدها هى التى تكبر وتشيخ .. أما نحن .. فنبقى

حيث لا تكون القرون الا ثوانى .. وبعد ما نحيا ألف حيــاة وحياة نفتح عيوننا لنحيا من جديد .. ان القمر يرقد مستريحا فى البحر .. وأحب أن أرى القمر يرقد آمنا فيه .. كما أود أن يترك ديون السماء وينزل الى .. هنا .. حيث أنا .

ثم تخرج قناع ديون من حضنها .. وتدنيه من ناظريها وتقول :

حبيبى .. وزوجى .. وولدى .. انك لن تموت حتى يموت قلبى .. وستحيا الى الأبد .. لأنك نائم فى قلبى ..

ثم تطبع شفتيها على شفتيه فى قبلة أبدية لا تنتهى !

***

وهذه اذن خلاصة تلك المسرحية التعبيرية الرمزية الحافلة التى تمثل فن أونيل خير تمثيل .. والتى يغوص بنا فيها فى ظلمات العقل الباطن ومسارب اللاشعور البشرى فى صراعه العنيف مع الوعى الانسانى .. وذلك كله بتساميه بالمذهب الطبيعى وارتفاعه عن سطحيته .. وعن تلك القشور التى كان الكتاب الطبيعيون لا يتعدون بها السطح الرقيق يصورونه تصويرا فتوغرافيا زائفا لا تعمق فيــه ولا تغلغل فى أسرار نفوسنا ..

أما الرموز التى تشتمل عليها المسرحية فيفسرها لنا أونيل بقوله :

« .. لقد صنعت كما صنع شيكسپير وكثيرون غيره فجمعت فى شخصية ديون أنتونى — أحـد بطلى المسرحية — بين شخصية پان Pan الأسطورية اليونانية الوثنية ، وشخصية القديس آنتونى St. Anthony المسيحية .. فديون هنا هو هذه الصورة الوثنية الخلاقة المقبولة المعقـولة للحيـاة .. الشخصية التى تحارب معركة أبدية ضد هذه الروح المترهبة المتزمتة المنكرة لذاتها ، والتى اشتهرت بها المسيحية .. والتى يمثلها هنا هذا القديس أنتونى .. (ففى شخصية ديون أنتونى يجتمع ديونيزوس اله الخمر والمرح والانطلاق اليونانى .. ثم هذا القديس أنتونى المترهب المسيحى) — والمعركة كلها تسفر فى الوقت الحاضر عن هذا الضنى أو الانهاك المتبادل— أو السرور بالحياة سرورا مبدعا من أجل حياة باطلة مخيبة .. حياة تفسدها العفة ، وتفقدها ثمرتها .. وتمسخ صاحبها فتجعل منه شيطانا بعد أن يكون پانا .. أو ديونيزوس .. تجعل منه مفيستوفيلوس يهزأ بنفسه لكى يشعر بأنه حى .. والمسيحيون الذين كانوا ذات يوم أبطالا أيما أبطال لرسوخ الايمان فى قلوبهم حتى لم يكونوا يفزعون من الاستشهاد فى سبيله ، أصبحوا اليوم يحاجون فى ضعف فى سبيل الايمان الراسخ بأى شىء .. حتى ولو بالربوبية نفسها (ونحن نجد فى المسرحية

أن ســـــيبيل Cybele ربة الأرض الوثنية.. هى التى تقول مؤكدة وفى ثقة : « أبانا الذى .. » لبرون وهو يحتضر .. كما أنها هى التى تحاول الهام ديون أنتونى فكرة ايمانها بالحياة من أجل الحياة نفسها .

أما مارجريت — وهذا من كلام أونيل أيضا — فهى صورتى العصرية المباشرة المنحدرة من مارجريت فتاة فاوست — المرأة الفتاة الأبدية ذات البساطة الفاضلة الفطرية ، التى تغض الطرف بلباقة عن كل شىء ، الا عن وسيلتها الى هدفها من المحافظة على السلالة .. والنوع .. أى فى سبيل بقائها .

أما سيبيل Cybele — تلك الفتاة البغى العاهر — فتجسيد لسيبيل Cybele ربة الأرض التى قضى عليها بالنبذ والعزلة فى عالم تسوده قوانين غير طبيعية .. الا أنها تنعم برعاية الآلهة الذين قضوا عليها بهذا النبذ .. والذين كانوا هم أنفســهم أول ضحايا قوانينهم وشرائعهم الجائرة

وأما براون فهو نصف الاله الأعمى البصيرة الذى يمثل أسطورتنا المادية الحديثة ، أو بالأحرى : النجاح المادى — الذى يبنى الحياة من أشياء خارجية .. وسطحية .. وهــو خال ، بل خاو من الداخل .. ومجرد من الذخائر الروحية ..

انه مخلوق غير مبدع ولا بناء .. ذو أخاديد وشقوق وثلم اجتماعية سطحية سبق تقديرها فى الأزل .. مخلوق ثانوى دفع به تيار الرغبة فى الحياة .. تيارها الأصلى العميق الجارف حتى ألقى به جانبا فى منعرجات الشاطىء الضحلة .

وقناع پان الذى يضعه ديون الصبى ليس دفاعا فقط ضد العالم من أجل الشاعر المصور المفرط فى الاحساس الذى يتوارى تحت هذا القناع .. لكنه جزء لا يتجزأ من شخصيته بوصفه فنانا .. والعالم .. أو الناس من حول ديون — ليسوا عميانا فحسب عن حقيقة الانسان الذى تحت هذا القناع .. بل هم أيضا يستهزئون أيضا بقناع پان الذى يرونه ويدينونه! وبعد هذا تنتكس نفس پان الداخلية وتتراجع وتنكص على عقبيها ازاء روح الاستسلام المسيحى حتى تأخذ بنصيب من طبيعة هـذا القديس أنتونى .. بينما يتحول پان فى الوقت نفسه ، ومن ظاهر شخصية ديون ، فيكون مفيستوفوليس ، وذلك بسبب المعركة التى يخوضها ضد الحقيقة والأمر الواقع . انه لا يقع عند قدمى براون حينما يقع الا وهو فى شـخصية مفيستوفوليس ، وذلك بعد أن حكم عـلى براون بالدمار بوصيته له بقناعه (قبل أن يموت) ، الا أننا نرى أن القديس حينما يسقط القناع من فوق وجه ديون وهو يجود بروحه ،

هو الذى يقبل قدمى براون ، ويقبله فى ذلة وانكسار حقيرين ، ويضرع كما يضرع طفل صغير الى أخيه الأكبر كى يصلى عليه ويستغفر له .

لقد كان براون دائم الحسد لتلك القوة الحيوية الخلاقة التى تتدفق فى كيان ديون .. تلك القوة التى يفتقدها هو .. وهو عندما يسرق قناع مفيستوفوليس من دبون يحسب أنه يكتسب تلك القوة السحرية التى يمكن أن يحيا بها حياة خلاقة ، بينما هو فى الواقع لا يسرق الا تلك القوة المستلبة التى تجعل صاحبها مخلوقا مدمر النفس خرب الروح بسبب خيبته التامة وحبوطه الكامل .. وبسبب شيطان الشك الساخر الذى يجعل حياته حياة خاوية يأتى عليها الذبول قبل أن تحقق غايتها .. انه شيطان يتلبسه فيمزقه فيجعله جذاذا .. ولا يفتأ يعذبه ويمسخ روحه .. حتى ليضطره الى أن يلبس قناع نجاحه — نجاحه المادى طبعا — يلقى به الناس .. فهو أمام الناس بقناع وليم ا . براون ، كما هو بقناع ديون أمام الزوجة وأمام الأطفال .. وهكذا لا يصبح بيلى براون ما هو فى حقيقة أمره ودخيلة نفسه أمام أى أحد من الناس .. وهكذا هو يقتسم آلام ديون — ولكنه يتعذب بها بصورة أنكى وأشد صرامة .. لأن ديون كانت له الأم : سيبيل Cybele . وان

روح براون لتولد فى النهاية من صميم هذه الآلام .. فتكون روحا مسيحية معذبة كروح ديون حينما كان ينازع سكرات الموت .. روحا تلتمس شيئا من الايمان حتى تجده آخر الأمر على شفتى سيبل Cybel .

ثم يختم أونيل شرحه لهذه الرموز بقوله : « لقد كان من أبعد الأمور عن خاطرى وأنا أكتب هذه المسرحية أن هـذه الخلفية من التيارات المتصارعة فى نفس الانسان سوف تخيم على المسرحية بأى حال من الأحوال .. وهكذا يختل توازن الدراما الحية لهذه المخلوقات الانسانية المدركة التى لا خفاء فيها : ديون وبراون ومارجريت وسيبل . لقد كان قصدى دائما أن تكون الدراما داخل هذه الشخصيات ومن ورائها بصورة غامضة مبهمة .. بحيث تعطيها من الأهمية والمعانى ما ليس لها ، وبحيث تقحم نفسها عليها فتعبر بلسانها بكلمات ورموز وأفعال غامضة لا تفهمها هذه الشخصيات نفسها .. وهذه هى دراما الأسرار Mystery .. دراما الأسرار التى فى وسع أى رجل أو امرأة أن يشعر بها ويحسها وان لم يستطع أن يفهمها بوصفها معنى أى واقعة أو حادث مفاجىء فى حياة أى مخلوق يحيا على هذه الأرض — ودراما الأسرار هذه هى التى أريد أن أحققها وأجلوها فـوق خشبة المسرح .

أما الحل — اذا أمكن أن يكون ثمة حل — فينبغى عـلى الأرجح أن نلتمسه من خلال أنبوبة اختبار .. ثم يسفر عن كونه حلا غير درامى بصورة لا تشجع ! » .

وهكذا يحاول أونيـل أن يكتب مسرحية أسرار حديثة فيغوص بنا فى هذا التيه الميتافيزيقى الشاسع .. لكنه يضرب فيه ليخرج بنتائج قد لا نوافق عليها .. وموافقتنا لا تهم أونيل لأنه فنان قبل أن يكون فليسوفا .. وعلامة فنه أنه يكاد يكرر لنا ما أحدثه فى مسرحيته هذه فى كثير من مسرحياته .. لكنه يعطينا كل مرة شيئا طريفا مشوقا لا نمله أبدا .. وان كنا نشعر فى بعض شخصياته بغموض لا يمكننا كشفه أو تفسيره .. كشخصيات هذه المسرحية التى لا يمكن أن تكون شخصيات واقعية من شخصيات هذه الحياة .. وعذر أونيل فى ذلك أنه يستخدم الرمز ويكره التصريح ويتعمق النفس ولا يطفو على سطحها .. وهل يكون الرمز الا غموضـا مستملحا .. وان لم يصح أن يكون ضربا فى تيه أو عماء ..

ان أونيل هنا لا يشغل نفسه بموضوع محلى أو مشكلة من مشكلات العصر الحديث .. انما هو ينصرف الى مشكلة انسانية أزلية .. مشكلة الصراع بين شخصية عبقرية قلقة وبين شخصية ناجحة هذا النجاح المادى الذى يحول صاحبه الى

صنم من الذهب ، وهو مع ذاك لا يستطيع أن يشترى بكنوزه قليلا من المحبـــة أو الرضا .. ومن ثم لا ينفك يحسد هــذا العبقرى الفقير الموهوب .. الذى تفتن به النساء وتقدر فيه مواهبه الروحية التى لا تنفد .. وقد لا نغلو اذا قلنا ان ديون هنا .. هو هو أونيل .. وهو هو ستريندبرج .. وهو هو كل أديب متململ ثائر .. قلق .. كافر بالبيئة التى يحيـا فيها .. بل بالدنيا التى ابتلى بها .. وبكل ما فى هذه الدنيا من مبادىء ومثل وعقائد .. انه يحن الى الرجوع بالانسانية الى طبيعتها الأولى الحنون الرؤوم .. لكنه لا يدرى كيف يعود اليها وان آمن بها .. وهل من السهل أن يتخلص الانسان من ميراث العقيدة التى كتب عليه أن يأخذ بها زمنا طويلا .. ممثلة هذه العقيدة فى هذا القديس أنتونى .. والرجــوع الى الوثنيــة القديمة الأولى .. الوثنية الطليقة الممثــــلة فى ديونيزوس اليونانى .. هذا الاله الخمرى المرح الذى كان يعشق الحياة من أجل الحياة ويستجيب لها فى جميع مظاهرها .. كما يستجيب لها أخوه هذا الاله پان .. رب المروج الخضر ورب الغابات الفيح .. ورب الزهر والشجر والثمر ! .. وهل دعا چان چاك روسو الى شىء غير هذا !

من هنا كان هــذا الانشطار فى جميــع شخصيات تلك

المسرحية .. بل الانشطار فى شخصياتنا نحن .. وكانت هـذه الأقنعة التى نلبس منها لكل حالة لبوسها .. ومن هنا كان ذلك القلق الذى يعترينا جميعـا ولا سيما فى أزماتنا النفسية ، ولا سيما حينما نعجز عن تحقيق رغائبنا .. وبعد أن زعزعت المدنية الآلية الحديثة معتقداتنا الروحية القديمة ، وأخفق العلم المادى الحديث — كما يقول أونيل — فى خلق ايمان حديث يشفى غريزتنا الدينية البدائية ويهديها الى تفسـير مطمئن للحياة ..

* * *

وبعـد .. فالى هنـا نقف فى حديثنا عن أونيل .. الى عام ١٩٢٥ من انتاجه المسرحى الضخم .. الخصب الشهى .. الذى لا تمله النفس أبدا .. أما انتاجه بعد ذاك .. وهو الانتاج الذى لا يفوقه انتاج كاتب آخر معاصر لأونيل .. حتى انتاج أونيل نفسه الذى ألمعنا اليه .. فموعده ظهور ترجمة أخرى لاحدى روائعه التى كتبها بعد الاله الكبير براون .

درينى خشبة



شخصيات المسرحية

وليم ا . براون
أبوه ، مقاول
أمــه
ديون انتونى
أبوه ، بنــاء
أمــه
مارجريت
أبناؤها الثلاثة
ســيبل
رسامان } فى مكتب براون
سكرتير

المنـــاظر

مقـــدمة : ملهى على رصيف الميناء فى ليلة مقمرة فى منتصف شهر يونيه .

الفصل الأول

المنظر الأول : غرفة الجلوس فى شقة مارجريت انتونى ، فى عصر يوم من الأيام بعد مضى سبع سنوات .

المنظر الثانى : مكتب بيلى براون فى عصر اليوم نفسه .

المنظر الثالث : ردهة بيت سيبل فى ليلة ذلك اليوم .

الفصل الثانى

المنظر الأول : ردهة بيت سيبل بعد مضى سبع سـنوات ، فى امسية يوم من الأيام .

المنظر الثانى : غرفة الرسم فى مكتب وليم ا . براون ، فى مساء ذلك اليوم

المنظر الثالث : مكتبة فى بيت وليم ا. براون ، فى ليلة ذلك اليوم.

الفصل الثالث

المنظر الأول : مكتب براون ، بعد مضى شهر ، فى صـباح يوم من الأيام .

المنظر الثانى : مكتبة بيت براون ، فى مساء ذلك اليوم .

المنظر الثالث : غرفة الجلوس ، فى بيت مارجريت ، فى ليـلة ذلك اليوم .

الفصل الرابع

المنظر الأول : مكتب براون ، بعد مضى اسابيع ، فى عصر يوم من الايام .

المنظر الثانى : بعد مضى ســـاعات ، فى مكتبة بيت براون فى الليلة نفسها .

خاتمـــة : بعد مضى أربع سنوات ، فى الملهى على رصيف الميـنـــاء .

مقدمة

المنظــــر

قطاع عرضى من ملهى على رصيف الميناء ، فى مؤخرته المبنية وراء الحافة رحبة على هيئة مستطيل قائم الزوايا صفت الأرائك فى زواياه الثلاث ، واحاط بالرصيف كله من الخلف ســـياج حـــديدى .

فى ليلة مقمرة فى منتصف شهر يونية ، ينبعث من الملهى ، صوت فرقة موسيقى مدرسية مؤلفة من اربعة طلاب يرددون أنشودة « آدلين الجميلة » ؛ تتمايل أصواتهم من فرط التهـــافت العاطفى الذى يثيره اللحن ، ويردد الصـــدى رجع التصـــفيق المتتابع ، ولا يسمع شىء بعد هذا سوى ارتطام الأمواج بأبنيـــة الملهى وحفيفها عند الشاطىء ، ثم وقع أقدام على الممر الخشبى. يرى بيلى براون وهو يعبر من الجهة اليمنى مع أبيه وأمه : الأم قصيرة بدينة فى الخامسة والأربعين من عمرها ، وقد افرطت فى تزيين ملابسها بالدنتلا السوداء وقطع « الترتر » ، أما الأب ففى الخمسين من عمره أو اكثر ، وهو نموذج للرجل الكثير الحركة ، الحلو المعشر ، الناجح فى حياته ، الموفق فى عمله فى الريف الذى يعيش فيه ، وقد بدا فى حلة المساء قويا شامخا ، سليما معافى ٠

وبيلى براون صبى وسيم ، فارع الطول ، رياضى البنية ، بلغ الثامنة عشرة من عمره تقريبا ٠ شـــعره أشـــقر وعيناه زرقاوان ، وله ابتسامة مستحبة وعلى محيـــاه تبدو الصراحـــة والبشر ٠ وان محياه ليدل لأول وهلة على قدرة صـــاحبه على

ضبط النفس ، كما يدل سلوكه على اعتداده بنفسه وعلى ذكائه السوى ، يرى مرتديا حلة المساء .

ويمشى الثلاثة وقد أمسك أحدهم بذراع الآخر والأم فى الوسط .

الأم : (مخاطبة الأب باستمرار) ما أسوأ تنظيم هذا الحفل الراقص ، ما هذا الغناء .. وما هذه الأصوات الهزيلة .. لم لا يغنى بيلى ؟

بيلى : (مخاطبا أمه) صوتى يشبه بوق الضباب الذى ينعق برتابة وانتظام (يضحك) .

الأم : (الى الهواء) كان صوتى جميلا عندما كنت فتاة ، (ثم تخاطب الأب بلهجة لاذعة) هل رأيت أنتونى الشاب وهو ينقل الخطا حول صالة الرقص مرتديا سرواله القذر المصنوع من الفانيلا .. ؟

الأب : كل ما هناك أنه يستعرض .

الأم : يا لها من وقاحة ! انه يشبه أباه فى جهله .

الأب : لا غبار على أبيه ، كل ما آخذه عليه أنه محافظ أكثر من اللازم ، وأنه لا يترك لى مجالا للتوسع فى عملى .

الأم : (بمرارة) من شدة الغـيرة .. جعلك تبقى دون مستواه .

الأب : ولكن لا تنسى أنه اتخذنى شريكا له .

الأم : (محتدة) لأنك كنت العقل المفكر ! ولأنه كان يخشى أن تضيع من يديه . (لحظة صمت) .

بيلى : (باعجاب) جاء ديون بملابســه القــديمة لأنه تراهن معى على هــذا ، انه رياضى صــميم .. ولا يتورع عن الظهور «ببيجامته» أمام الناس ! (يبتسم ابتسامة تقدير) .

الأم : لم يعد ضوء القمر صافيا ! (تذهب وتجلس على الأريكة الموضوعة فى الوسط ، ويقف بيلى فى الزاوية اليسرى الى الأمام ويده على السـياج الحديدى كما لو كان سجينا يواجه القاضى فى قفص الاتهام — بينما يقف أبوه أمام الأريكة الى اليمين وتعود الأم فتتكلم بلهجة قاطعة) بعد أن يتم بيلى تعليمه فى المدرسة لابد له أن يدرس ليتقن مهنة من المهن .. لقد عقــدت العزم على هذا ! (تلتفت الى زوجها متحدية ، كأنها تتوقع منه المعارضة) .

الأب : (متحمسا ومهدئا من ثورتها) وهـذا بالضبط ماكنت أفكر فيه ياعزيزتى ، فن العمارة ! مارأيك فيه ؟ وفى أن يكون بيلى معماريا من الطراز الأول ! هـذا هو اقتراحى ! وهو ما كنت أتمناه لنفسى باستمرار ! ولكن الفرصة لم تتح لى أبدا . أما بيلى ... فسنجعله مساهما فى الشركة فيما بعد ، وسنطلق عليها اسم شركة « أنتونى براون وولده .. المعماريين والبناءين » ، بدلا من المقاولين والبناءين ! .

الأم : (وهى تتوق الى تحقيق حلمها) ولن نعود أبدا الى رصف طريق المشاة أو الى حفر مصارف المياه ؟

الأب : (ممتعضا بعض الشىء) نستطيع أنا وأنتونى أن نبنى أى شىء يرسمه ابنك المدلل ... حتى ولو كان كاتدرائية (ثم ، عارضا فكرته) ستتاح له فرصة عظيمة ! سيصمم المشروعات ، ويوسع من نطاق عملنا ، ويجعل الشركة مشهورة .

الأم : (مرسلة كلامها فى الهواء — وبتأمل) عندما عرضت علىّ الزواج ، كنت أظن أن مستقبلك يبشر بالنجاح .. ومستقبلى .. (بتنهيدة) .. على

كل حـال أظن أن حياتنـا كانت على وفاق ، والمستقبل الآن هو مستقبل بيلى، فما رأيه فى أن يكون معماريا .. ؟ (بدون أن تنظر اليه) .

بيلى : (مخاطبا أمه) وهو كذلك يا أمى . (ثم بحياء) أظن أننى لم أهتـم كثيرا بالتفكير فيما أود أن أعمله بعد تخرجى من المدرسة ، ولكننى أرى أن العمارة تصادف هوى فى نفسى .

الأم : (مرسلة كلامها فى الهواء — وبكبرياء تقول) اعتاد بيلى أن يرسم بيوتا عندما كان صغيرا .

الأب : (متهللا) بيلى يملك كل مقـومات النجـاح ولا ينقصه الا الجد فى عمله .

بيلى : (بلهجة المطيع) سأعمل بجد يا أبتاه .

الأم : فى استطاعة بيلى أن يعمل أى شىء !

بيلى : (بارتبـاك) سأحاول يا أمى (تسـود فترة صمت) .

الأم : (برعشة مفاجئة) الليالى الآن أبرد بكثير مما كانت عليه من ذى قبل .. فمثلا تصـور أننى ذهبت مرة أستحم فى ضوء القمر فى شهر يونية

عندما كنت فتاة ، وكم كان ضوء القمر دافئا جميلا فى تلك الأيام ، ألا تذكر أيها الأب ؟

الأب : (يطوقها بذراعه فى حنان) لا شك أننى أذكر أيتها الأم . (يقبلها .. ثم يعزف أوركسترا الملهى لحنا من ألحان الفالس) ها هى الموسيقى تعزف، فهيا بنا نعود ونرقب الشبان وهم يرقصون (يذهبان تاركين بيلى واقفا وحده هناك) .

الأم : (تلتفت اليه فجأة) أريد أن أشاهد بيلى وهو يرقص .

بيلى : (بلهجة المطيع) لبيك يا أمى ! (يتبعهما ويسمع صوت الموسيقى الخافت وضربات الأمواج برهة من الوقت ، ثم يسمع وقع أقدام للمرة الثانية ويدخل آل أنتونى الثلاثة . يدخل الأب والأم أولا بغير قناع : الأب طويل نحيف فى الخامسة والخمسين أو الستين من عمره ، يوحى وجهه بالتجهم وتعود الدفاع عن النفس والتشبث بالرأى الى حد الغباء ، والأم هزيلة نحيلة متهافتة، تبدو على الدوام عصبية المزاج مرتبكة التصرفات، ومع هذا فلها وجه حلو ولطيف يدل على أنه كان

جميلا فى يوم من الأيام . يرتدى الأب حـلة سوداء واسعة وكأنه فى ثوب الحداد ، أما الأم فترتدى ثوبا أسود بسيط النوع رخيص الثمن ، ويتبعهما ابنهما ديون ماشيا وحده كما لو كان غريبا عنهما .. وهو فى مثل طول براون ولكنه أميل الى النحافة والنحول ، ولا يعرف للهدوء طعما ، ويبدو دائما فى حـركة عصبية متوترة ، ووجهه مغطى بقناع علته الحدة والصرامة ، وقد بدا غائما متجهما مشوبا بالروحانية والشاعرية ، وعاطفيا مرهف الحساسية ، وقد جمع الى براءة الطفولة الايمان الدينى بالحياة ، وأضحى بفعل القناع ذا وجه ساخر متهور يميل الى استفزاز الناس ويطرب للسخرية بهم كما بدا فضلا عن هذا كله أشبه ما يكون باله الخمر « بان » الذى ينغمس فى الشهوة الحسية . يرى مرتديا قميصا من « الفانيلا » رمادى اللون مفتوح اليـاقة ، وحذاء من القماش ، وسروالا متسخا من الفانيلا البيضاء . يتجه الأب نحو الأريكة التى تقع فى الوسط ويجلس عليهـا تاركا الأم التى كانت

ممسكة بذراعه ، تتجه الى اليمين من الأريكة . يحدق كلاهما فى ديون الذى تعمد أن يظهر بمظهر الشخص الذى لا يبالى كثيرا . والذى يأخذ مكانه عند السياج الحديدى حيث وقف براون الشاب ، يرمقانه بعيون قلقة حائرة .

الأم : (فجأة — وبلهجة متوسلة) يجب عليك أن ترسله الى الكلية !

الأب : هذا ما لا أريده ، فأنا لا أومن بالكلية والكليات تخرج الكسالى المتسكعين الذين يعيشون عالة على آبائهم الفقراء ! دعيه يشقى كما شقيت ! فهذا الشقاء هو الذى سيجعله يعرف قيمة القرش ! الكلية لن تجعل منه الا طائشا أكثر مما هو الآن ! أنا لم أجتز مرحلة التعليم الابتدائى ، ومع هذا جمعت المال ، وأسست شركة ذائعة الصيت ، دعيه يخلق من نفسه رجلا كما خلقت أنا من نفسى رجلا .

ديون : (مرسلا كلامه فى الهواء — وبسخرية) هذا المستر أنتونى هو أبى ، ولكنه يتصور نفسه دائما الاله الأب . (كلاهما يحدقان فيه) .

الأب : (بارتباك وغضب) ماذا — ماذا — ماذا قال ؟

الأم : (معارضة ابنها برقة) ديون . ياعزيزى ! (ثم الى زوجها بتوبيخ) براون ينسب الفضل كله لنفسه! ويقول لكل من يلقاه ان النجاح الذى حققه يرجع الى قدرته وحدها ، وأنك لست أكثر من عصا قديمة ملقاة فى الوحل !

الأب : (مأخوذا وبحنق) يا له من أحمق ملعون ! انه خير من يعلم أننى لو لم أعده الى صوابه لأدى بأفكاره المجنونة الطائشة الى خـرابنا من زمن طـويل !

الأم : سيرسل بيلى الى الكلية .. هذا ما قالته مسز براون لى الآن .. انه يعده لدراسة فن العمارة حتى يمكنه فيما بعـد أن يساعد فى توسـيع شركتك !

الأب : (بغضب) ما هـذا الكلام ؟ (يلتفت الى ديون فجأة ، ويقول بعنف) اذن عليك أنت الآخر أن تفكر فى الذهاب الى الكلية ، وأن تتعلم لتكون أحسن من ابن براون فى فن العمارة ، هـذا

والا ألقيت بك فى الوحـل ولا شىء معـك من النقود .. أتسمع ؟

ديـون : (مرسلا كلامه فى الهواء — وباستهزاء يقول) من الصعب على الانسان أن يختار .. ولكن يظهر أن العمارة أريح من غيرها .

الأم : (بوله) لابد أن تكون معماريا رائعا يا ديون ، وكثيرا ما أبدعت فى رسم الصور ..

ديـون : (يرمقها بنظرة .. وباستياء يقول) هل لابد أن تكذب ؟ وهل هى غلطتى ؟ انها تعلم أنها لم تكن أكثر من محـاولة للرسم (بحمـاس) ولكننى سأكون رساما ذات يوم ! (وسرعان ما يعود الى السخرية) الى الكلية ! حسنا ، فالكلية على أية حـال لن تكون كالبيت ، أليس كذلك ؟ (يضحك ضحكة مريرة قاسية ويقترب منهما ، ينهض أبوه واقفا فينحنى ديون) أشكر المستر أنتونى لأنه أتاح لى هذه الفرصة الرائعة لكى أخلق نفسى .. (يقبل أمه التى تنحنى بخضوع غريب كما لو كانت خادما أهانها سيدها الشاب.. ثم يستطرد بهوادة) سأخلق نفسى بالصورة التى

تخيلتها أمى لعلها تحس أن حيـاتها ختمت على النحو الذى تحبه وترضاه . (يجلس فى مكان أبيه فى الوسط ، وقناعه شاخص الى الأمام فى سخرية جامدة ، الأب والأم يقفان الى جانبه كل فى ناحية وينظران اليه فى صمت) .

الأم : (بعد حين وهى ترتجف) الجو بارد . ولم يسبق أن كان شهر يونية باردا على هذه الصورة ، اننى أتذكر يا ديون شهر يونية عندما كنت حاملا بك.. قبل أن تولد بثلاثة أشهر (تحدق فى السماء) كان ضوء القمر دافئا فى ذلك الحين ، وكنت أشعر أن الليل يلفنى كأنه غطاء رمادى اللون من القطيفة ، بطنته السـماء الدافئة ، ووشـته بأوراق فضية اللون ! ..

الأب : (يصيح بشراسة .. ولكن بنوع من المهابة) كانت أمى تعتقد أن الزرع يؤون أوانه عندما يكون القمر بدرا ، وكانت فظيعة فى تعصبها لكل ما هو قديم (وبصوت أقرب الى صوت الخنزير) أشعر أن هذا يثير علىّ مرض الروماتيزم ، هيا بنا الى الداخـل .

ديــون : (بمرارة شديدة) لتختفيا عن الأنظار ! ولتشعرا بالعار ! (كلاهما يفزع منه ويحدق فيه) .

الأب : (بيأس مرير وهو يخاطب زوجته .. مشيرا الى ابنهما) من يكون هذا الابن ؟ أنت التى ولدته !

الأم : (بزهو وخيلاء) انه ولدى ! انه ديون !

ديــون : (باستياء مرير) وماذا أكون غير ذلك فى الواقع ! ألست ابنكما بعينه ! (ثم بسخرية) هل المستر أنتونى وحرمه ذاهبان الى الرقص ؟ الليالى بدأت تبرد ! والأيام أصبحت أشد عتمة عما كانت عليه من قبل ! هيا بنا نلعب لعبة « عسكر وحرامية » ! ونبحث عن القرد الذى فى القمر ! (ويقفز فجأة قفزة مضحكة كأنه أحد المهرجين ، وينطلق مسرعا وهو يضحك بطريقة مستهجنة ، يحــدقان فيه وهو يولى عنهما الأدبار ، ثم يتبعانه بهــدوء وبطء . ومرة أخرى يسود الصمت الذى لا تقطعه الا طرقات الأمواج ، ثم تدخل مارجريت يتبعها عاشقها الولهان بيلى براون . أما هى فقد بلغت حوالى السابعة عشرة من عمرها ، شقراء مليحة ملأى بالحياة ، عيناها حالمتان واسعتان ، وقوامها

قوى لدن ، وتنم تعابير وجهها عن ذكاء ولكنه ذكاء شباب حالم ، ولا سيما فى ضوء هذا القمر . ترى عند دخولها مرتدية ثوبا بسيطا أبيض ، واضعة على وجهها قناعا يشف عما وراءه وينقل ملامح وجهها نقلا يكاد يكون تاما ، ولكنه مع هذا يضفى عليها الصفات المجردة التى تكون لأية فتاة بدلا من تلك الصفات التى تنفرد بها مارجريت) .

مارجريت : (تنظر الى القمر ، وتغنى بصوت خفيض أثناء دخولها مع بيلى براون) « آه ، يا قمر سرورى الذى لا يعرف المحاق » .

بيلى : (بتلهف) حصلت على تسجيل لهذه الأغنية — انها لجون ماكورماك ، كم هى رائعة ! استمرى فى الغناء . (تنظر الى أعلى فى صمت ، ويظل هو واقفا خلفها فى احترام ، ينظر بارتباك الى وجهها المعرض عنه ثم يحاول أن يجاذبها أطراف الحديث) أظن أن « الرباعيات » شىء عظيم ، ألا ترين هذا؟ أنا لم أستطع أن أحفظ شعرا ذا قيمة على الاطلاق ، بينما ديون يستطيع أن يسمع قصائد من شعر شيلى عن ظهر قلب .

مارجريت : (تزيح قناعها عن وجهها ببطء .. وتناجى القمر) ديون ! (لحظة صمت) .

بيلى : (قلقا) مارجريت !

مارجريت : (وهى تناجى القمر) ما أروعك يا ديون !

بيلى : (بغباوة) طلبت اليك أن تأتى الى هنا لأننى أردت أن أحدثك فى شىء .

مارجريت : (وهى تتحدث الى القمر) لم نظر ديون الىّ هكذا ؟ كم أشعرتنى نظرته بالهيام !

بيلى : وأنا أيضا أردت أن أسألك عن شىء ما .

مارجريت : لا يمكننى أن أنسى تلك المرة التى قبلنى فيها ! لم يكن يقصد الا المزاح .. ولكنى شعرت .. ورأى ما شعرت به فلم يستجب له بأكثر من الضحك !

بيلى : لأن صلته بك لم تكن وطيدة أما الغاية من صلتى فهى الشىء المؤكد .. وهكذا كانت منذ زمن طويل حتى أظن أنها معروفة لدى كل من فى المدينة .. فانهم كثيرا ما يتقولون علىّ .. وعلى ذلك فلابد أن تعرفى هذه الصلة .. وتعرفى ما أشعر به نحوك .

مارجريت : كم يختلف ديون عن جميع الآخرين ، فى امكانه أن يرسم رسما جميلا ، وأن ينظم الشعر ويعزف الموسيقى ويغنى ويرقص ، كل هذا يفعله بصورة مدهشة ، مدهشة الى أقصى حد ، ومع هذا فهو حزين خجول ، تراه كالطفل تماما فى بعض الأحيان ، وهو يعرف دخيلة نفسى حق المعرفة .. و .. وكم يحلو لى أن أمرر أصابعى خلال شعره.. اننى أحبه ! نعم ، أحبه ! (تمد ذراعيها الى القمر) آه ، يا ديون ، اننى أحبك !

بيلى : أنا أحبك يا مارجريت .

مارجريت : يا ترى هل ديون .. انى رأيته ينظر الىّ ثانية فى هذه الليلة ..يا ترى هل .. ؟

بيلى : (يأخذ بيدها وينفجر) ألا تستطيعين أن تحبينى؟ ألا تريدين أن تتزوجينى .. بعد تخرجى من الكلية ..

مارجريت : يا ترى أين ديون الآن ؟

بيلى : (يهز يدها وهو فى عذاب من الشك) مارجريت، أرجو أن تحبينى !

مارجريت : (يتبدد حلمها فتلبس قناعها وتلتفت اليه .. وكأنها

تعود الى عالم الواقع) الجو يأخذ فى البرودة ، فهيا بنا يا بيلى نعود ونرقص .

بيلى : (بيأس) اننى أحبك ! (يحاول تقبيلها بشىء من الرعونة) .

مارجريت : (بضحكة لاهية) محبة أخ ! ويمكنك أن تقبلنى اذا شئت (تقبله) قبلة الأخ الأكبر ، وهى لا تحسب . (يتراجع مخذولا مطرق الرأس ، تفلت منه وتخلع قناعها .. وتناجى القمر) كم أود لو قبلنى ديون مرة ثانية !

بيلى : (فى ألم) عبيط أنا ومسكين ، كان ينبغى علىّ أن أعرف ذلك ، وأراهن أننى أعرف ، أعرف أنك وقعت فى حب ديون ، ورأيتك تنظرين اليه ، أليس الأمر كذلك ؟

مارجريت : ديون ! كم أحب سماع هذا الاسم !

بيلى : (بغلظة) لا بأس .. فهو دائما أبدا أفضل أصدقائى .. وأنا مسرور أن يكون هو .. وأرى أننى سأعرف كيف أستفيد من هذه الخسارة .. (يأخذ يدها ويصافحها) والآن أرجو لك كل ما فى العالم من نجاح وسعادة ، وتذكرى

يا مارجريت أننى سأظل لك باستمرار خير صديق ! (يصافحها المصافحة الأخيرة .. ويمد يده بصعوبة .. ثم يتحدث بجد ورجولة) هيا بنا نعود الى الداخل !

مارجريت : (الى القمر .. وبشىء من الكلال والاعياء) ترى ماذا يفعل بيلى براون هنا ؟ سأنزل وأنتظره عند حافة الرصيف . أنا البحر وديون القمر . فماذا لو عانق القمر البحر وقبله ؟ كم أود لو ترك ديون السماء ونزل الىّ ، وكم أود لو انجرف موج دمى نحوه فبارح قلبى واتبع هواه ! (ثم تهمس كأنها فتاة صغيرة) ديون ! مارجريت ! بيجى ! بيجى حبيبة ديون .. بيجى الصغيرة .. حبيبة ديون .. (تغنى ضاحكة ، وبانبهار) ديون يا أبى، أوه ! (تمشى تجاه حافة الرصيف ، ناحية اليسار) .

بيلى : (ينصرف مسرعا) أنا ذاهب ، سأقول لديون انك هنا .

مارجريت : (تزداد ثقة وقوة حتى تصبح فى آخر الأمر وكأنها أم وزوجة) وسأكون مسز ديون..زوجة ديون..

وسيكون ديون لى .. لى أنا وحدى .. ولدى الصغير .. طفلى ! سيغرق القمر فى أمواج قلبى ، ويغوص آمنا فى أعماق البحـر ! (تختفى من الجهة اليسرى ، وتنظر الى أعلى بوجه غير مقنع وكأنه وجه حالم أخذته نشوة الرؤيا . ومرة أخرى يسود الصمت الذى تسمع خلاله أصوات الرقص والموسيقى ، ثم ينقطع الصوت ويدخـل ديون ويمشى مسرعا نحو الأريكة التى تقع فى الوسط ، ويلقى بنفسه فوقها مخفيا وجهه المقنع بكلتـا يديه ، وبعد برهة يرفع رأسه وينظر حواليـه مسترقا السمع ، ثم يخلع قناعه بهوادة فيبـدو وجهه الحقيقى فى ضوء القمـر الساطع مكتئبا خجولا رقيقا تغشاه سحابة الحزن العميق) .

ديـون : (بحيرة ومعاناة) لماذا أخـاف من الرقص ، أنا الذى أحب الموسيقى والايقاع والجمال والغناء والضحك ؟ لماذا أخاف من الحياة ، أنا الذى أحب الحياة وجمال الجسد والألوان الحية فى الأرض والسماء والبحر ؟ لماذا أخاف من الحب ، أنا الذى أحب الحب ؟ لماذا أخاف ، وأنا الذى لا يخاف ؟

لماذا أتظاهر باحتقار الناس لكى أشفق على الناس؟
لماذا أتوارى فى احتقار نفسى من أجل أن أفهم ؟
ولماذا أخجل من قوتى كل هذا الخجل ، وأزهو
بضعفى كل هذا الزهو ؟ لماذا أعيش فى قفص كما
لو كنت مجرما أكره الناس وأتحداهم ، وأنا الذى
أحب الصداقة والسلام ؟ (يشبك كلتا يديه
ويرفعهما الى أعلى فى نوع من الضراعة والابتهال)
لماذا خلقتنى بلا جلد يا الهى فكان علىّ أن
أرتدى درعا لكى لا ألمس أحدا ولا يلمسنى أحد؟
(لحظة صمت يقضيها فى سكوت وانتظار ، ثم
فجأة يضع قناعه على وجهه مرة أخرى فى حركة
تنم عن اليأس كما تنم نبرات صوته عن المرارة
والازدراء) أو بالأحرى أيها الاله الأزلى ، لماذا
خلقتنى على الاطلاق .. لماذا بحق الشيطان ؟
(يسمع وقع أقدام من جهة اليمين فيتجمد ديون
فى مكانه ويظل قناعه شاخصا الى الأمام . يدخل
بيلى من اليمين متثاقلا وعليه أمارات القلق ،
وعندما يرى ديون يتوقف فجأة ويحدق فيه
بضجر واستياء .. ولكن شخصية الانسان الطيب

المغلوب على أمره سرعان ما تتغلب على هــذه الحال) .

بيلى : (بحيرة وارتباك) أهلا ، ديون ، كنت أبحث عنك فى كل مكان . (يجلس على الأريكة جهة اليمين ، مصطنعا لهجة المزاح) لماذا أنت جالس هنا أيها المعتوه .. أتحاول أيها المجنون أن تزداد جنونا على جنون ؟ (لحظة صمت .. ثم بحماقة) تركت لتوى مارجريت ..

ديــون : (يجفل .. وسرعان ما يدافع عن نفسه بلهجــة ساخرة) الرب يبارككم يا أولادى !

بيلى : (بغلظة وفظاظة) أنا بعيد عنها كل البعد .. وهى التى دلتنى على الطريق . أنت حبيبها الحقيقى ، فعد الى الداخل لكى تحظى بها ! ونحن كما كنا منذ الطفولة صديقان حميمان، ألم نكن كذلك؟.. و .. وأنا مسرور يا ديون أن يكون هذا هو أنت (يقول ذلك بصوت أجش .. ويتلمس يد ديون مصافحا اياها) .

ديــون : (تاركا يده تسقط .. ثم بمرارة) صديقان ؟ أوه، كلا ، فيا طالما ازدرانى بيلى براون !

بيلى : انها فى انتظارك الآن ، تحت عند حافة الرصيف.

ديـون : فى انتظـارى أنا ؟ من هى ؟ وأى فتاة ؟ أوه ، كلا ان الفتيـات لا يسمحن لأنفسهن بالنظـر الا لما يستحق النظر !

بيلى : انها غارقة فى حبك .

ديـون : (يهتاج ، وبعد فترة صمت يتمتم قائلا) هـل وقعت معجزة ؟ انى خائف ! (يغنى بهزل ومزاح) أنا أحب ، أنت تحب ، هو يحب ، هى تحب ! هى تحب ، هى تحب .. ماذا ؟

بيلى : أنا أعلم كل العلم أنك تسعى اليها من وراء ستار السذاجة والبلاهة .

ديـون : (فى ثورة) من وراء ستار ؟ أنا أحب الحب ! وأحب أن أحب ! ولكننى خائف ! (ثم بتهجم) كنت أخاف ! والآن لا أخاف ! الآن أستطيع أن أحب .. أى واحدة ! نعم ، أنا أحب بيجى ! ولم لا ؟ من تكون هى ؟ ومن أكون أنا ؟ نحن نحب ، وأنت تحب ، وهم يحبون ، وكل انسان يحب .. وما من انسان لا يحب ! العالم كله له حبيب يحبه، الله يحبنا جميعا ونحن نحبه ! والحب كلمة ..

شبح كلمة ، رث الثيـاب مكشوف الوجـه يستجدى الحياة على كل باب مهما كلفه ذلك من ثمن !

بيلى : (يبدو دائما وكأنه لم يسمع شـيئا ممـا قاله الآخر) أقول دعنا ، أنا وأنت ، نسكن معا فى الكلية ، فى غرفة واحدة ..

ديـون : بيلى يريد أن يبقى الى جانبها !

بيلى : واذن فهذا شرط ! (ثم يغتصب ابتسامة) يمكنك أن تخبرها بأننى سأراقب سلوكك ! (يتحول عنه مبتعدا) الى اللقاء ، وتذكر أنها تنتظـر . (ينصرف) .

ديـون : (يناجى نفسه فى حيرة وارتباك) تنتظر .. تنتظرنى أنا ! (يزيح قناعه ببطء فيبدو وجهه وقد تبدلت أساريره وعلاه السرور ، يحدق سابحا فى ملكوت السماء) أيها الاله الذى فى القمر ، ترى هـل سمعت ؟ انها تحبنى ! وأنا لست خائفـا ! انى قوى ! وأسـتطيع أن أحب ! وهى تحمينى ! وذراعاها تطوقانى برفق ولين ! وسأشعر بالدفء وهى الى جوارى ! انها جلدى ! انها درعى ! لقد

ولدت الآن .. أنا .. الذى هو أنا ! .. الواحد الذى لا يتجزأ .. أنا الذى أحب مارجريت ! (يحدق فى قناعه تحديق الظافر المنتصر .. ويخاطبه بنبرات تنم عن التحرر والخلاص) لقد كبرت أكثر من اللازم ! وأنا قد جاوزت الغرض المطلوب منك ! (يمد ذراعيه الى السماء) أيها الاله ، آمنت بك الآن ! (يسمع صوتها آتيا من عند حافة الرصيف) .

مارجريت : ديون !

ديون : (ساهما) مارجريت !

مارجريت : (مقتربة) ديون !

ديون : مارجريت !

مارجريت : ديون ! (تدخل مسرعة وقناعها فى يديها ، يقفز نحوها بذراعين مفتوحتين فتتراجع منكمشة وهى تصدر صيحة خائفة وسرعان ما تلبس قناعها ، يتراجع ديون فتخاطبه بغضب وفتور) من أنت ؟ ولماذا تنادينى ؟ أنا لا أعرفك !

ديون : (وهو كسير القلب) انى أحبك !

مارجريت : (بتجمد) هل هذه دعابة .. أم أنت سكران ؟

ديـون : (بهمسة حاسمة ضارعة) مارجريت ! (تكتفى بأن تحدق فيه باحتقار ، ثم بحركة مفاجئة ينتزع قناعه من على وجهه ويضحك بوحشية ومرارة) ها .. ها .. ها ! غلبتك هذه المرة يا بيجى !

مارجريت : (تنزع قناعها ، وبفـرح) ديون ! كيف فعلت هذا .. ولماذا ، فأنا لم أتعرف عليك !

ديـون : (يطوقها بذراعه فى جسارة) كيف ؟ انه القمر .. القمر المجنون .. القرد الذى فى القمر .. يمثل علينا ألاعيبه ! (يقبلها بوجهه المقنع مرة تلو مرة بعاطفة مشبوبة كما لو كان ممثلا) أنت تحبينى ! وتعرفين أنك تحبينى ! فقوليها ! وخبرينى ! فأنا أريد أن أسمع ! وأريد أن أشعر! أريد أن أعرف! وأريد أن أريد ! أن أريدك كما تريديننى !

مارجريت : (فى نشوة) أوه ، ديون ، أنا أحبك ! أحبك !

ديـون : (باستعلاء تهكمى .. ولهجة خطابية) وأنا أحبك! أوه ، أحبك بجنون ! أوه ، أحبك دائما والى الأبد ، آمين ! أنت نجم سمائى وطالع سعدى ! عيناك بحيرتان زرقاوان تنساب فيهما أحـلامى الذهبية ، وجسدك شجرة حور بيضـاء نضرة

تتلوى تحت شفتى الربيع . هكذا ! (يلويها الى الوراء ويسندها بذراعيه ويميل بوجهه على وجهها) هكذا ! (يقبلها) .

مارجريت : (باسترخاء عاطفى مفرط) أوه ، ديون ! ديون ! أحبك !

ديون : (بنبرة استعلاء متزايدة) أنا أحب ، أنت تحب ، نحن نحب ! تعالى ! استريحى ! استرخى ! دعى قبضتك تطلق للدنيا العنان ! دعى نورها يخبو ويخبو حتى يتلاشى فيما وراء الماضى ! فى العدم! فى الموت ! والآن ! لتولدى من جديد ! لتنهضى! وتحيى ! وتذوبى فى الندى .. فى الصمت .. فى الليل .. فى الأرض .. فى المكان .. فى السلام .. فى المعنى .. فى الفرح .. فى الاله .. فى الاله الكبير پان ! (وبينما هو آخذ فى كلامه ، يحتجب القمر شيئا فشيئا وراء سحابة سوداء حتى يختفى نوره ، وتسود لحظة من الظلام الدامس والصمت العميق ، ثم يبزغ نور القمر ثانية وبالتدريج ، ويسمع صوت ديون هامسا فى أول الأمر ، ثم متزايدا فى ارتفاعه كلما زاد نور القمر) انهضى !

آن الأوان لتنهضى ! آن الأوان لتوجدى ! آن الأوان لتذهبى الى المدرسة ! آن الأوان لتتعلمى! تعلمى لتتظاهرى ! لتسترى عريك ! تعلمى لتكذبى ! تعلمى لتفعلى كما يفعل الآخرون ! الحقى بالركب ! ان پان الأكبر قد مات ! استشعرى الخجل !

مارجريت : (بنشيج) أوه ، ديون ، انى أشعر بالخجل !

ديون : (باستهزاء) هس ! أنظرى الى القرد الذى فى القمر ! انظرى اليه وهو يرقص ! ان ذنبه قطعة من خيط كان قد ترك عندما انفصل عن يهواه وفر هاربا ليلتحق بسيرك تشارلس دارون !

مارجريت : أعرف أنك تكرهنى الآن ! (تلقى بذراعيها حوله وتدفن رأسها فى كتفه) .

ديون : (بتأثر عميق) لا تبكى ! لا .. ! (يمزق قناعه فجأة وفى عذاب الانفعال) أكرهك ؟ أنا أحبك بكل روحى ! أحبينى ! لماذا لا تستطيعين أن تحبينى يا مارجريت ؟

(يحاول أن يقبلها ولكنها تقفز واقفة على قدميها مصدرة صرخة مذعورة وواضعة قناعها أمام وجهها محتمية به) .

مارجريت : لا ! أرجوك ! أنا لا أعرفك ! أنت تخيفنى !

ديـون : (يلبس قناعه مرة أخرى ويقول بهدوء ومرارة) كل شىء على ما يرام ، ولن أدعك تنظرين الى هذا مرة أخرى . (يلفها بذراعه ويقول بسخرية رقيقة) كنت أحبك هناك نيابة عنه ! فلا تبكى ! ولا تخافى ! ديون أتتونى سيتزوجك يوما ما . (يقبلها) « رضيت بهذه المرأة ... » (بدعابة رقيقة) أهلا بك أيتها المرأة ! هل تشعرين بالكبر على مر السنين ! مسز ديون أتتونى ، هل ستعود الى الداخل ، وهل لى فى الرقصة الثانية ؟

مارجريت : (برقة) أيها الولد المجنون ! (ثم تضحك فرحة) مسز ديون أتتونى ! ما أروع وقعها على الأسماع ، أليس كذلك ؟ (يخرجان بينما ...

يسدل الستار)

الفصل الأول

المنظر الأول

المنظر ، بعد سبع سنوات :

فى غرفة جلوس مسز ديون أنتونى ، وهى غرفة تقع فى نصف بيت من تلك البيوت التى تسكنها عائلتان .. والتى تقع فى ناحية البيوت من المدينة .. انه بيت من بيوت الأحياء ذات التصميم الواحد الذى يؤذى العين بقبحه الشديد . وقطع الأثاث الأربع التى ترى فيه هى من ذلك الطراز الذى يلائم تلك البيوت .. كرسى بمسندين فى ناحية اليسار ، ومنضـــدة خلفها كرسى فى الوسط ، وأريكة فى الجهة اليمنى . وكأنما تأثير غرفة المحكمة الذى صنعت الأرائك على غراره فى الفصل الأول هو الذى حمل الى هنا . وخلفية المنظر عبارة عن ستار خلفى ، طليت حائط المؤخرة فيه بالأصباغ المطبوعة سبكا فضلا عن التفاصيل الواقعية التى لا تطاق ولا أثر فيها للحياة ، والتى تزين عادة غـــرف الجلوس فى أمثال هذه البيوت . الوقت فى ساعة متأخرة من عصر يوم معتم من أيام الشتاء .

يرى ديون جالسا خلف المنضدة محدقا فيما أمامه ، والقناع معلق على صدره تحت رقبته معطيا تأثير كلا الوجهين : وجهه الحقيقى وقد تقدم به العمر الى حد كبير وبدت عليه أمارات الألم والاجهاد ولكنه فى الوقت نفسه وعلى نحو غير مألوف يشف عن انسان زاهد غير أنانى ، عقد العزم واتخذ القرار أن يعتزل

الناس وينسحب من الحياة . والقناع هو الآخر قد تغير فبدا اكبر سنا واكثر تهكما واستفزازا ، كما بدا الاحتقار فى نظراته اكثر حدة ومرارة . وقد تغيرت فيه صفة الاله پان واتخذ صورة الشيطان مفستوفوليس ، فأخذ يعيث فى الأرض فسادا مظهرا ما شاء من ضروب الاتلاف والتدمير .

ديـون : (يمد يده فجأة ويتناول نسخة « العهد الجديد » الموضوعة أمامه على المنضدة ، يضع اصبعه كيفما اتفق فيفتحه ، ويأخـذ فى تلاوة الآية بصـوت مرتفع) « الىّ جميعا .. أيها المثقلون بأعبائكم وسأهبكم الراحة والخلود » (يحملق فيما أمامه فى شبه ذهول وقد تألق وجهه بنور منبعث من أعماقه وان عاد فاكتسى بالحيرة الموجعة .. يهمس بصوت مبهم غير واضح) لسوف آتى اليك .. ولكن أين أنت أيها المنقذ ؟ (يسمع صوت الباب الخارجى وهو يوصد محدثا جلبة وضوضاء ، يقفز ديون ويضع قناعه الساخر على وجهه مرة أخـرى ، ويطرح جانبـا الكتاب المقـدس) ياللمسيحية التليدة ! يا للأم الراسخة البنيان ! وأنت أيها الطفل الذى يبكى فى الظلام ، أنت ! (يضحك ضحكة مريرة يزدرى فيها نفســه ،

ويقترب صوت وقع أقدام فيتناول جريدة ويختفى وراءها على عجل ، تدخل مارجريت مرتدية ملابس من أحدث طراز ، وتبدو ملابسها الغالية ومعطفها الفراء وكأنما قد عنى بهما وأعيد تغيير طرازهما . وعلى الرغم من شبابها الا أنها بدت متقدمة فى السن عليها سمات النضج والأمومة ؛ فوجهها المليح لا يزال محتفظا بنضارته وطلاوته وان لاحت عليه بوادر الهم والنكد ، فحول الأنف والفم بدا تعبير الخوف ، والألم الشامل لاح فى العينين . يتظاهر ديون بأنه مستغرق فى قراءة الجريدة وهى تنحنى فوقه وتقبله) .

مارجريت : (بمرح مصطنع) صباح الخير .. فى الساعة الرابعة بعد الظهر ! كنت تغط فى النوم عندما غادرت البيت !

ديون : (يلفها بذراعيه دون ما اكتراث كما هى عادته .. ويقول بسخرية) يا للزوج المثالى !

مارجريت : (وقد انشغلت بفكرة أخرى ، تأتى وتجلس على الكرسى الموضوع فى الجهة اليسرى) خشيت أن يزعجك الأولاد فأرسلتهم الى مسز يونج ليلعبوا

هناك . (لحظة صمت ، ثم يتناول الجريدة مرة أخرى فتسأله بجزع) يبدو لى أن هذا سيجعلهم على ما يرام ، ألا ترى ذلك ؟ (لا يجيب على سؤالها ، فيؤلمها ذلك الى درجة التكدير) كنت أود أن تهتم بالأولاد أكثر من ذلك يا ديون .

ديـون : (ساخرا) هل أصبح أبا .. قبـل تناول طعـام الافطار ؟ اننى أكون فى وضع ظريف جـدا . (تشيح بوجهها وكأنها تلقت اساءة ، يربت على يدها شاعرا بالندم .. وفى عبوس وانبهام) وهو كذلك ، سأحاول .

مارجريت : (تضغط على يده .. وتقول برقة فياضة) العب معهم ، فأنت فى أعماقك طفل .. طفل أكبر منهم.

ديـون : (ساخرا بنفسه ، ومقلبا صفحات الكتاب المقدس) فى أعماقى .. اننى أصير طفلا بشكل واضح ! « اصبروا وصابروا على هؤلاء الصغار » .

مارجريت : (محتفظة بثقتها بنفسها) أنت أكبر أطفالى .

ديـون : (باجلال تهكمى ساخر) لشد ما تضع ملكوت السماء فى موضعه !

مارجريت : (تسحب يدها) كنت جادة فى الأمر .

ديـون : وأنا كذلك .. فى بعض الأمــور (يضحــك) يا للدبلوماسية المنزلية ! نلتقى فى ظل القانون .. حين لا يملك أحدنا زمام الآخر !

مارجريت : (يبدو عليها التجهم والارتباك ، ثم تقول بلهجة تمثيلية متكلفة) أريد أن أكون جادة فى كلامى معك ، أيها الشاب الصغير ! فأنت لا زلت سادرا فيما بدأته فى العام الماضى وأنت خارج البلاد من ادمان للخمر وعكوف على القمــار بالرغــم من وعودك الكثيرة بالاقلاع عن هذه الأشياء .

ديـون : من وقت ما عرفت ذلك لم يعد فى امكانى أن أكون فنانا .. اللهم فى حيــاتى .. بل وحتى فى حياتى لم أعد فنانا ! (يضحك بمرارة) .

مارجريت : (باقتناع) ولكنك « تســتطيع » أن ترســم يا ديون .. رسومات جميلة !

ديـون : (بألم عميق) لا ! (يتناول يدها بسرعة ويقبلها بامتنان) أنا أحب مارجريت ! ان جهلها بالأشياء يقطع على الفهم كل سبيل ! (ثم بمرارة) .. أم تراها الرحمة ؟

مارجريت : لم يبق لنا فى البنك الا حوالى مائة دولار .

ديــون : (بدهشة مذهلة) ماذا ! هل النقود التى بعنا بها البيت نفدت عن آخرها ؟

مارجريت : (باعياء) كل يوم تقريبا كنت تصرف شيكات .. وكنت تشرب ولا تعمل لشىء حسابا ..

ديــون : (مستثارا) أنا عارف ! (لحظة صمت ثم بصرامة) لم يعد لنا عقار تتكل عليه ، ايه ؟ ولكن لا بأس، فما بعناه عشنا به خمس سنوات خارج البلاد فى أمن وسلام ، واشترينا به قليلا من السعادة .. سـعادة من نوع ما .. أليس كذلك ؟ سـعادة العيش والحب وانجاب الأطفال .. (لحظة صمت قصيرة ، ثم بمرارة) .. كنت أظن أننى رسام كبير قبل أن أكتشف أننى لا أستطيع أن أرسم شيئا !

مارجريت : (باقتنـاع مصطنع هـذه المـرة) . ولكنك « تستطيع » أن ترسم .. رسومات جميلة !

ديــون : (بغضب) اسكتى ! (لحظـة صـمت .. ثم باستهزاء) وهل تظن زوجتى أنها بذلك تهيؤنى لأن أستقر وأعول أسرتى على النحو الهزيل الذى يجب أن يعتادوه فيما بعد ؟

مارجريت : (بخجل) لم أقل هذا .. ولا يزال هناك شيء ما ينبغى عمله .

ديـون : (بفظاظة) هل تستطيع مسز أتتونى أن تفيدنا فتقول لنا ما هو هذا الشيء ؟

مارجريت : قابلت بيلى براون فى الشارع فقال انك تستطيع أن تكون معماريا قديرا اذا ثابرت على ذلك .

ديـون : يا له من متملق ! بدلا من أن أترك الكلية عندما مات أبى ؟ بدلا من أن أتزوج بيجى وأسافر الى الخارج وأنعم بالسعادة ؟

مارجريت : (وكأنها لم تسمع) كان يتكلم عن اجادتك الرسم.

ديـون : بيلى كان يحب مارجريت فى وقت من الأوقات .

مارجريت : وكان يود أن يعرف لماذا امتنعت تماما عن زيارته.

ديـون : انه شديد الاكباب على النجاح ، وتلك مشيئة مامـون اله المـال ! أتتونى وبراون بنـاءان ومقاولان .. يقضى الموت على أتتونى وأنا أبيع تركتى .. ويتخرج بيلى فى الكلية .. فيصبـح براون وولده بناءين ومعماريين .. ويفقد العجوز براون حلاوة الفخر بالأبوة .. فيبقى لنا وليم . ا . براون المعمارى ! لشد ما اتخذت حياته نفسها

طابع التصميم المعمارى ! ولشد ما هو بناء لبناته من الطين !

مارجريت : طلب منى بالحاح أن أسألك أن تزوره فى داره .

ديـون : (يقفز على قدميـه .. ويقـول بتأكيد) كلا ! يا للكبرياء ! كنت — وما زلت — حيا !

مارجريت : لماذا لا تتحدث معه ؟

ديـون : فى سقوطى كبرياء !

مارجريت : كنتما صديقين حميمين على الدوام .

ديـون : (بيـأس متزايد) ان الكبرياء التى تأتى بعـد سقوط الانسان .. تجعله يضحك من الهزائم التى صنعتها يداه !

مارجريت : لا أقول من أجلى .. بل من أجلك أنت .. وفوق كل شىء من أجل الأولاد !

ديـون : (بيأس فظيع) والكبرياء ! الكبرياء التى بدونها تصبح الآلهة حشرات !

مارجريت : (بعد فترة صمت ، برقة ووداعة) ألا تريد أن تزوره ؟ هل تؤلمك زيارته ؟ وهو كذلك ياعزيزى. لا تهتم ، سندبر أمـورنا بطريقـة ما .. ينبغى ألا تنزعج .. وينبغى أن تبـدأ فى رسـوماتك

الجميلة مرة أخرى .. وفى امكانى أن أحصل على هذه الوظيفة فى المكتبة .. وكم سيكون العمل هناك تسلية لى ! .. (تمد يدها وتأخذ يده .. وتقول برقة) أحبك يا عزيزى ، وأنا قد فهمت.

ديـون : (يغوص فى مقعـده ذليـلا كسيرا وقد أشاح بوجهه عنها وأشاحت بوجهها عنه بالرغم من أن يديهما بقيتا متشابكتين .. ويقول بصوت متهافت مرتعش) ان الكبرياء تموت ! (قالها وكأنما كان يموت اختناقا ، ثم يزيح القنـاع عن وجهـه المستكين ، الشاحب ، الأسيان ، ويصبح وكأنه راهب فى الصحراء يدرأ بصلواته الشيطان) ان الكبرياء قد ماتت ! فطوبى للمتواضعين ! وطوبى للمساكين بالروح !

مارجريت : (دون أن تنظر اليه .. وبصوت فيه حنين الأمومة وفيه العزاء والسلوى) يا ولدى المسكين !

ديـون : (باستياء .. يعيد القناع الى وجهه ويقفز على قدميه .. ويقول باستهزاء) طوبى للمتواضعين لأنهم سوف يرثون القبور ! وطوبى للمساكين بالروح لأنهم عمى لا يبصرون ! (ثم بمـرارة

أليمة) وهو كذلك ! اذن فأنا أقول لزوجتى أن تذهب وتسأل بيلى براون .. فذلك أقتل لى مما لو ذهبت اليه بنفسى ! (بسخرية حادة) تسأله ان كان فى مقدوره أن يجد منفذا لشاب موهوب يكون شريفا حين لا يكون صاحيا .. وتتوسل اليه وترجوه باسم الحب القديم ، وباسم الصداقة القديمة .. أن يكون بطلا كريما فينقذ المرأة وأولادها الصغار ! (يضحك ضحكة شيطانية ثم يبتسم ابتسامة هازئة ويسرع فى الخروج) .

مارجريت : (بوداعة) هل أنت خارج الى الشارع يا ديون ؟

ديون : نعم .

مارجريت : هل مررت على دكان الجزار تسأله أن يبعث برطلين من لحم الخنزير وأن يقطعه الى شرائح ؟

ديون : نعم .

مارجريت : ومررت بمنزل مسز يونج لتقول للأولاد أن يسرعوا بالمجىء الى البيت ؟

ديون : نعم .

مارجريت : وهل تعود لتناول طعام العشاء ، يا ديون ؟

ديون : لا (يذهب ، ويسمع وصد الباب الخلفى ، ترسل

مارجريت زفرات حيرى غامضة وتتجه الى النافذة وتطل منها الى الخارج) .

مارجريت : (بقلق وضجر) أرجو أن يكونوا حذرين حين يعبرون الشارع .

ستار

المنظر الثـــــانى

المنظر ، مكتب بيلى براون ، فى الخامسة بعد الظهر . فى الوسط مكتب فاخر مصــــنوع من خشب المجنة وخلفه كرسى دائرى ، وفى ناحية المكتب اليسرى كرسى بمسندين من كراسى المكتب ، وعلى يمين المكتب أريكة مكاتب . خلفية المنظر عبارة عن ستار خلفى يبدو مشابها فى زيادة العناية بالتفاصيل غـير اللازمة لما رأيناه فى المنظر الأول .

يرى بيلى براون جالسا الى المكتب يفحص تصميما ازرق اللون على ضوء مصباح المكتب ، لقد كبر وبدا بهى الطلعة حسن الهندام فى هيئة رجل الأعمال الأمريكى الذى تعـــلم فى الكلية واصبح فارها فى عمله ؛ ومع هذا فهو صبى فى ملامحه ، جذاب فى شخصيته . يدق التليفون .

براون : (يرد على التليفون) نعم ؟ من ؟ (يقول هذا بدهشة ، ثم بسرور المتلهف) دعها تدخل فورا (ينهض ويتجه الى الباب فى لهفة وتعجب ، تدخل مارجريت وقد توارى وجهها خلف قناع الزوجة الشابة الجميلة ؛ ولا زالت هى المرأة التى تتخذ من الأمور موقفا فيه الســذاجة والبراءة وفيه الشجاعة والأمل من غير أن تعترف للعـــالم بما

أصابها من جراح . ترى مرتدية ملابس المنظر الأول مع اضافة القليل من الزينة هنا وهناك) .

مارجريت : (بانشراح كبير) أهلا ، بيلى براون !

براون : (يصافحها وهو مأخوذ بحضورها) تفضلى . اجلسى . هذه مفاجأة سارة يا مارجريت . (تجلس على الأريكة بينما يجلس هو على كرسيه الدائرى خلف المكتب كما كان من قبل) .

مارجريت : (ناظرة فيما حولها) يا للمكاتب الجميلة ! ياه ! ولكن بيلى براون أصبح عظيما !

براون : (مسرورا) انتقلت الى هنا توا ، المكان القديم كان خانقا للغاية .

مارجريت يدل على السعادة والنجاح .. ولكن كل واحد لا يملك الا أن يقول ان بيلى موفق فى عمله كل التوفيق .

براون : (بتواضع) حسنا ، ولكى أكون صريحا أقول ان الأمر فى معظمه راجع الى الحظ ، فالأشياء تأتينى عفوا من غير أن أبذل فيها عناء كبيرا (ثم بكبرياء وخجل) ومع هذا .. قمت بنفسى بأداء بعض الأعمال (ينتزع الرسم من المكتب) أترين

هذا ؟ انه تصميمى لمبنى البلدية الجديد ، قبلته اللجنة فى الحال ولكن ببعض الشروط .

مارجريت : (تتناوله .. وبحيرة) أوه ؟ (تتفرج عليه اجمالا وتسود لحظة صمت وفجأة) تكلمت فى اليوم الماضى عن ديون وكيف أنه كان يجيد الرسم ..

براون : (بقليل من الجحود) نعم ، لا شك أنه كان يجيد الرسم (يأخذ منها الرسم ومرة واحدة يستغرق فيه ثم يحول نظره عنه وقد علاه التجهم) هل لاحظت أنه يحتاج الى شىء ؟

مارجريت : (بلا مبالاة) لا ، على الاطلاق .

براون : (بابتسامة وانشراح)أرادت اللجنة أن يغلب عليه الطابع الأمريكى وقالت انه من الطراز التقليدى ، وانه كثير الشبه بالضريح اليونانى — الرومانى (يضحك) يريدون أن أدخل عليه حلية مبتكرة من الفن الحديث فتبعث فيه الحياة وتجعله يبدو مختلفا عن قاعات البلدية فى المدن الأخرى . (يعيد الرسم الى مكانه على المكتب) وكنت أفكر فى الطريقة التى أعيده بها اليهم

ولكن يظهر أن تفكيري لا يميل الى السير في هذا الطريق ، هل عندك اقتراح ؟

مارجريت : (وكأنها لم تسمع) هل كان بيلي براون يقول عن ديون انه بلا شك يجيد الرسم ؟

براون : (محاولا ألا يظهر استياءه) ولم لا ، نعم .. كان ولا يزال .. وهذا ما أتوقعه . (لحظة صمت ، يتحكم فيما أحس به من انفعال الغل والاستياء ، ويلتفت اليها بوجه سمح) ديون في امكانه أن يصبح معماريا قديرا بارعا .

مارجريت : (بزهو وخيلاء) أنا أعرف ، ففي وسعه أن يكون ما يشاء .

براون : (تمضي فترة صمت ، ويقول باستياء) وهل يشتغل بشيء هذه الأيام ؟

مارجريت : (مدافعة عنه) أوه ، نعم ! انه يرسم رسومات رائعة ! الا أنه يكاد يكون كالطفل ، فهو غير عملي ، لا يحاول أن يقيم معرضا ، ولا أن يشتغل بشيء .

براون : (مندهشا) أظنه حدثني في المرة التي قابلته

فيها عن اتلافه جميع صوره ، وعن سـأمه من الرسم واقلاعه عنه نهائيا .

مارجريت : (بسرعة) كثيرا ما يقول ذلك للناس حتى انه لا يريد أن يطلع أحـد على أعماله ، تصور ! وكثيرا ما يقول عنها انها تافهة .. بينما هى فى الواقع رائعة الجمال ! انه شديد التواضع فى خير ما يملك ، ألا ترى ذلك ؟ ولكن الحق يقال انه لم يرسم الا القليل النادر منـذ عودتنا من الخارج . وأنت تعلم أن الأولاد يأخـذون من وقته الكثير ، فهو يحبهم الى درجـة العبادة ! وما أخشاه هو أنه أصبح رجـل بيت بشكل لا يطاق ، على العكس تماما مما كان يتوقعه أى انسان عرفه فى الأيام الماضية .

براون : (بحيرة وألم شديدين لاخلاصها له ولمعرفتـه بالحقيقة) نعم ، أنا أعرف (يمسك عن وعيـه بالأمر) .

مارجريت : (وقد تنبهت الى شىء ما فى أسلوبه) ولكن يبدو أن مروجى الاشاعات يذيعون عنه باستمرار نفس القصص السخيفة (تغتصب ضحكة) مسكين

يا ديون ! ولكن ماذا يضير الكلب لو أطلقت عليه اسما قبيحا ! (يتحشرج صوتها على الرغم منها).

براون : (بسرعة) لم أسمع شيئا من هذه القصص ... (يتوقف مرتابا ثم يعزم على الخوض في الكلام) الا ما يتعلق بأمور المال .

مارجريت : (متكلفة الضحك) أوه ، ربما كانت هذه صحيحة نوعا ما ، فان ديون يبذر أمواله بشكل جنونى شأن كل فنان .

براون : (بنوع من العناد) هناك اشاعة تقول انك قدمت طلبا للحصول على وظيفة فى المكتبة .

مارجريت : (متكلفة لهجة المرح) نعم ، هذا صحيح ! وسأجد فيها اللهو واللعب .. وربما أجد فيها ما يوسع مداركى واذا كان لابد لأحدنا أن يكون عمليا ، فلم لا أكون أنا ؟ (تتكلف ضحكة الفتاة المرحة).

براون : (يتناول يدها بسرعة .. وبخشونة) اسمعى يا مارجريت ، تسمحين أن تتكلم بصراحة تامة ؟ اننى ذلك الصديق القديم ، واننى شديد الرغبة فى أن .. وأنت تعلمين تمام العلم أننى أعمل أى شيء فى العالم لكى أساعدك .. أو أساعد ديون .

مارجريت : (تسحب يدها ، وببرود) أخشى ألا أكون قد فهمت ما تقول يا بيلى براون .

براون : (بارتباك حقيقى) حسنا ، فأنا ما قصدت الا .. كما تعرفين .. أنك اذا احتجت .. (لحظة صمت ، ينظر حائرا الى وجهها المعرض عنه .. ثم ينتقل الى موضع آخر وكأنه يتكلم عن أمـر واقع) عندى اقتراح سأعرضه على ديون .. اذا قدر لى أن ألقاه . والاقتراح هو هـذا : ان الأعمـال تراكمت علىّ .. فقد واتانى الحظ .. ولكنى قليل الأيدى المساعدة . وأنا فى حاجة ماسة الى رئيس قـدير للرسامين .. والا كنت عرضـة للضياع . فهل تظنين أن ديون يوافق على هذا الاقتراح .. كحل مؤقت .. حتى يعود ثانية الى مزاجه فى الرسم ؟

مارجريت : (تجاهد فى اخفاء تلهفها وارتياحها .. وتقـول بحكمة) نعم .. انى أظن هذا فعلا . فهو مثال طيب للخلق الرياضى ، وهو وبيلى كانا يوما ما صديقين حميمين ، وأعلم أنه سيكون شـديد الحماس لمساعدة صديقه .

براون : (بخجل وحياء) ظننت أنه سيكون حساسا من ناحية العمل لصالحى .. أقصد من ناحية العمل معى .. فلو أنه لم يبع تركته لوالدى ، لكان شريكى الآن .. (بحماس) .. وأقسم أننى أود لو أنه كان شريكا لى ! (ثم بجفـاء) والآن يا مارجريت دعينا نحاول معـرفة رأيه الصريح الواضح ، فهل هو الآن فى البيت ؟ (يمد يده الى التليفون) .

مارجريت : (مهرولة) لا ، انه .. انه غادر البيت فى نزهة طويلة على الأقدام .

براون : ربما استطعت أن التقى به فيما بعد ، فى مكان ما فى المدينة .

مارجريت : (بنوع من الرجاء) أرجـو ألا تتعب نفسك ، ولا ضرورة لذلك . فأنا واثقة أننى حين أكلمه .. وهو عائد الى البيت لتناول الغداء .. (تنهض) اذن فقد تم كل شىء ، أليس كذلك ؟ وسيكون ديون فى غاية السرور لأن يقـدر على معـاونة صديق قديم .. فهو شديد الاخلاص ، ولشد

ما يحب بيلى براون ! (تمد يدها اليه) يجب أن أذهب الآن !

براون : (يصافحها) مع السلامة يا مارجريت . وأرجو أن تكثرى من زيارتك لنا عندما يأتى ديون الى هنا .

مارجريت : أجل (تذهب) .

براون : (يصافحها) مع السلامة يا مارجريت . وأرجو كآبة من التفكير السوداوى العميق ، ثم يتمتم فى اشفاق واعجاب) مسكينة يا مارجريت ! انها مرحة لطيفة ، ولكن حرام أن تقسو عليها الحياة اللعينة كل هذه القسوة (مغيظا) وقسما بالله لأتحدثن الى ديون بما فيه الكفاية عن كل يوم من هذه الأيام !

ســـتار

المنظر الثالث

المنظر : ردهة بيت سيبل ، فى الوسط قرب المؤخرة « بيانو » آلى من النوع الذى يعزف حين يلقى فيه بقطعة من النقود ، وعلى يمينه أريكة قذرة مذهبة قديمة الاستعمال · وعلى اليسار كرسى منقوش بلا تنميق، قماشه من القطيفة رخيصة الثمن حمراء اللون· وخلفيـــة المنظر عبارة عن حائط فى المؤخرة مغطى بورق من نوع رخيص لونه أصفر ثقيل قاتم يشبه فيما يحـــدثه من تأثير ·· الأرض البور التى تركت بلا زرع موسما كاملا فى بواكير الربيع· وفوق أعلى البيانو منبه رخيص ألقى الى جانبه بقناع سيبل · يرى ديون مســـــتلقيا على ظهره فوق الأريكة وقد راح فى نوم عميق ، وسقط قناعه على صدره ، وبدا وجهه الشاحب غريبا فيما يعلوه من طهر وروحانية ، وما يشوبه من كآبة وحزن ·

يسمع صوت البيانو يترنح بلحن عاطفى لأغنية «أمى··أمى» · وترى سيبل جالســة على كرسى بغير مسند أمام البيانو ، وهى فتاة شقراء شهوانية قوية البدن هادئة الأعصاب فى نحو العشرين من عمرها · تعلو وجهها الصحة والنضارة ، ويتميز قوامها بنهدين ممتلئين وردفين عريضين ، وهى تتحرك فى بطء وصلابة كأنها حيوان أضناه التعب · وعيناها الواسعتان حالمتان تفضحان أعمق الغرائز وأشدها اثارة · تمضغ قطعة من اللادن كأنها بقرة مقدسة نسيت أن الزمن يمر ، وأنه أبدى ليست له من نهاية · أما عيناها فقد ركزتهما بلا مبالاة على وجه ديون الشاحب ·

سـيبل : (تنظر الى الساعة والنغم ينبعث ، تراها تشير

الى منتصف الليل فتمشى ببطء نحو ديون وتضع يدها برفق فوق جبينه) استيقظ يا ديون !

ديون : (يتأفف ويتنهد ثم يتمتم كالحالم) « ووضع يديه عليهم فاذا هم مبرءون » . (ثم يثب فاتحا عينيه ويحدق فيها حائرا وهو لا يزال جالسا فى فراشه) ماذا .. أين .. من أنت ؟ (يتناول قناعه ويضعه على وجهه محتميا به) .

سيبل : (بهدوء واطمئنان) امرأة أخرى ولا زيادة ، كنت ملقى على سلالم بيتى تغط فى النوم ولم أشأ أن أخوض أى مغامرة فأعرض نفسى لمتاعب كثيرة مع الشرطة ، اذ يجعلوننى موضع لوم ، ويقبضون عليك ويضعونك فى السجن ؛ ولهذا أخذتك الى داخل البيت حتى تفيق من النوم .

ديون : (بسخرية) طوبى للرحماء يا أختاه ! وأنا مفلس.. ولكنك ستنالين أجرك فى السماء !

سيبل : (بهدوء) أنا لم أضيع ما صنعته فيك من جميل، ولم كنت أضيعه ؟ فقد كنت سعيدا ، ألم تكن كذلك ؟

ديـون : (برضا واستحسان) يا للروعة ! فأنت على ما يبدو لى لست من دعاة الأخلاق .

سـيبل : (مستمرة فى كلامها) وأنت الآخر فتى طيب .. عندما تكون نائما . وأرى من الأحسن لك أن تذهب الى بيتك وتأوى الى فراشك والا أغلقوا دونك الباب .

ديـون : (ساخرا) والآن تصبحين ولك خصائص الأم ، يا فتاة الكرة الأرضية . وهل هذا هو الحل الوحيد أن تقيدى روحى وتضعيها فى كل دثار فارغ ؟ (تحدق فى قناعه وقد قست ملامح وجهها فيضحك) ولكن أرجو ألا تكفى عن تدليك جبهتى ، انها تؤلمنى ويدك هى الدهان الرطب الذى اتخذه كمادا لوخزات الأفكار !

سـيبل : (بهدوء) كفى تمثيلا ، فأنا أكره التمثيل المبالغ فيه . (تنظر اليه وكأنها تنتظر منه أن يزيح قناعه .. ثم تدير ظهرها بلا مبالاة وتتجه نحو البيانو) ولا بأس ، فاذا راق لك أن تكون شيطانا رجيما شأن كل زائر آخر يحب اللعب ، فلا مانع عندى من أن ألعب معك . (تتناول

قناعها وتلبسه .. ثم تستدير اليه .. فتبـدو فى القناع عاهرا شرسة مكحولة العينين محمـرة الشفتين ، وفى صوت خشن غليظ) أفصح عن نواياك غير الشريفة ان كان عندك منها واحدة ! وأنا لا أستطيع أن أجلس بصحبتك الليل بطوله فدعنا نستمع الى شىء من الموسيقى ! (تضـع قطعة من النقود فى الجهاز فيبدأ فى عزف اللحن العاطفى نفسه . يحـدق القناعان أحـدهما فى الآخر ، فتضحك) أضرب ضربتك ! فأنا على أتم استعداد ! واللعبة لعبتك أيهـا الشـيطان الصغير !

ديـون : (يزيح قناعه ببطء فتوقف الموسيقى بسرعة ، يبدو وجهه وديعا حزينا .. ويقـول بانكسار) آسف ، اننى لا أكاد ألمس حتى يعترينى الألم !

سـيبل : (تنتزع قناعها ، وتعود فتجلس على كرسـيها وتتعاطف معه) يا للطفل المسكين ! لم يكن لى طفل أبدا ، ومع هذا أستطيع أن أخمن أن أهلك يعانقونك ويقبلونك ويجلسونك فوق حجورهم ويقرصونك ويحلو لهم أن يروك تلبس وتتعرى..

كما لو كنت ملكا لهم .. وأراهنك أننى لو كان لى طفل لما سمحت لهم أن يعاملوه بهذا الشكل .

ديون : (ملتفتا اليها) وأنت أيضا ضللت طريقك فى منعطفات مغلقة لا منفذ منها ولا خروج . (وفجأة يمد يده قريبا منها) ولكنك قوية ، فدعينا نكن صديقين .

سيبل : (تحدق فى وجهه بصرامة عجيبة كأنها تفتش فيه عن شىء) ولا شىء أكثر من هذا ؟

ديون : (بابتسامة غريبة) بل دعينا نقل .. لا شىء أقل من هذا ! (تأخذ يده ويدق جرس الباب الخارجى فيحدق كل منهما فى الآخر فيعود الجرس الى الدق) .

سيبل : (تلبس قناعها فيفعل ديون مثلما فعلت فتقول ساخرة) من الصعب عليك أن تحب المعيشة اذا كنت قد أحببت الحياة . وأفضل عندى أن أنتمى الى « نقابة العمال الأمريكيين » وأعمل فى صناديق الصابون ثمانى ساعات فى اليوم ! هل معك قرش يا صغيرى ؟ ليعزف لنا لحنا . (تخرج ، ويضع ديون قرشا فى البيانو فينبعث

اللحن العاطفى نفسه . تعود سيبل ووراءها بيلى براون . يبدو رزينا صارم الوجه الا أن كرهه المتناهى لديون مما يمكن أن يرى . يوقف ديون الموسيقى ، ويتبادل النظرات مع بيلى لحظة من الوقت . تنظر سيبل اليهما معا ثم تتثاءب متضايقة) انه يبحث عنك ، أطفئا النور عندما تخرجان ، فأنا ذاهبة لأنام . (تهم بالخروج .. ثم تقول لديون وكأنها تذكرت شيئا) دع الحياة وشأنها تصبح الحياة على ما يرام . (وبطريقة آلية تومض بابتسامة تجارية الى بيلى) والآن أنت تعرف الطريقة أيها السيد الوسيم ، نادنى مرة ثانية ! (تخرج) .

براون : (بعد فترة صمت حائرة) أهلا ، ديون ! كنت أبحث عنك فى أنحاء المدينة ، وكان هذا المكان آخر احتمال بقى لى .. (فترة صمت أخرى .. وبضيق) هيا بنا نتمشى .

ديون : (ساخرا) أقلعت عن هذا التمرين لما علمت أن المشى يطيل العمر .

براون : (باقناع) هيا يا ديون . ولتكن رفيقا صالحا ، ولا شك فى أنك لن تبقى هنا ..

ديــون : ألم يكن بيلى براون يود أن يرانى وقد أخذت متلبسا بالجريمة ، آه ؟

براون : لا تكن غبيا مجنونا ! استمع الى ! كنت أبحث عنك لأسباب شخصية بحتة ، فأنا فى حاجة الى مساعدتك .

ديــون : (مندهشا) ماذا ؟

براون : عندى اقتراح أرجو باسم صداقتنا القديمة أن يصادف عندك القبول . وأكون صريحا معــك يا ديون فأقول اننى فى حاجة اليك لتساعدنى فى المكتب .

ديــون : (بضحكة جافة) اذن فهذه هى الوظيفة ، أليس كذلك ؟ وبذلك تكون زوجــتى المسكينة قد قامت بالتوسل والاستجداء !

براون : (مأخوذا .. وبحدة) بالعكس ، أنا الذى توسلت اليها أن ترجوك بقبول الوظيفة ! (يزداد غضبا) التفت الىّ يا ديون ! أنا لا أحب أن أسمعك تتكلم عن مارجريت بهذه الطريقة ! وما كنت تفعل هذا لو لم تكن ثملا ! (يهزه فجأة) ماذا دهاك بحق الجحيم ، وكيفما كان ! فأنت لم تكن

من قبل كما أنت الآن ! وماذا أنت فاعل بنفسك بحق الشيطان .. هل تهوى الى الحضيض وتجر معك مارجريت ؟ لو أنك سمعت دفاعها عنك ، وكذبها من أجلك ، وقولها لى عن العمل الشاق الذى تعمله ، والرسومات الجميلة التى ترسمها، والبقاء فى البيت شغفا بالأولاد ! .. على حين يعلم كل انسان أنك تخرج من البيت كل ليـلة لتنغمس فى الشراب ، وتقامر بآخر ما بقى من ميراثك .. (يتوقف عن الكلام خجـلا كابحـا جماح نفسه) .

ديـون : (منهكا) كانت تكذب من أجل زوجها لا من أجلى أيها الأحمق ! ولكن لا فائدة من الشرح والتفسير . (ثم بانفعال مفاجىء مثير) وما الذى تريده ؟ أنا موافق على أى شىء .. بشرط الابقاء على الأسرار المهينة صما لا تنطق ولا تبين !

براون : (بصـوت أجش .. وبفظـاظة) كلام فارغ ! ولا تحاول أن تتملص ! فلا عذر لك وأنت تعلم ذلك . (وبينما ديون لا يجيب .. يتكلم بلهجة التائب) الا أننى أعـلم أنه ما كان يصح أن

أتحدث بهذه الطريقة الى صديق قديم ! وذلك فحسب لأننا كنا مثال الصديقين القديمين .. ولا أحب أن أراك تضيع نفسك .. أنت يا من كنت أرجحنا عقلا ! ولكن اطرح هذا جانبا ، فأنا يبدو لى أنك أخبث وأمكر من أن تعتقد أننى لا أقصد سوى ما قلته لك الآن !

ديـون : (مأخوذا) أعلم أن بيلى كان دائما صديق ديون أتتونى .

براون : أنت على حق فيما تقول عنى .. ولو أنك أتحت لى بعض الفرصة لبرهنت على هذا منذ زمن بعيد ! وبعد هذا كله ، لم أستطع الاستمرار فى ملاحقتك وأنت تصدنى فى كل مرة ، فالانسان عنده شيء من الكبرياء !

ديـون : (بتهكم أليم) خطأ مميت ! ولا خطأ أكبر منه أبدا ! أبدا مهما كان الأمر ! يا له من عمل مجرد من الخلق ! طوبى للمساكين بالروح ، يا أخى ! ترى متى سأبدأ فى العمل ؟

براون : (بحماس) واذن سوف تتسلم الـ .. عندما تبدأ فى مساعدتى ؟

ديــون : (بانهاك مرير) سوف أتسلم الوظيفة ، فالمرء لابد له من عمل يمضى به الوقت ، ما دام الانســان ينتظر .. حتى تحل روحه فى جسد غيره وتعود الى الحياة مرة أخرى .

براون : (بمزاح) يبدو لى أننا شغلنا أنفسنا بهذا الأمر قبل الأوان . (يحاول أن يستحث ديون على التحرك) لنمض الآن مسرعين ، فقد تأخرنا بعض الشيء .

ديــون : (يزيح يده عن كتفه ، ويمضى مبتعدا عنه ، ويقول بعد فترة صمت) هل لا يزال كرسى أبى هناك ؟

براون : (يشيح بوجهه .. ويقول بحيرة وارتباك) أنا .. أنا لا أتذكر حقيقة يا ديون .. سوف أبحث عنه.

ديــون : (ينتزع قناعه .. ويقول بهدوء وبطء) أحب أن أجلس حيث جمع هو ما بددته أنا . لشد ما كان أحدنا غريبا عن الآخر ! يوم رقد مفارقا الحياة بدا لى أن وجهه ليس غريبا علىّ حتى أننى حرت وساءلت نفسى ترى أين التقيت بهذا الرجل من قبل . أنا لم ألتق به الا لحظة ميلادى ، وبعــد ذلك دب الخلاف بيننا وأخذ ينمو ، وينمو معه

الخجــل المتوارى . ومــاذا جرى لأمى ؟ انى أتذكرها فتاة جميلة فيها شىء غريب ، عينــاها حائرتان مؤثرتان كأن الله أغلق دونهما مقصورة ظلماء وتركها بلا تفسير أو بيان . وكنت أنا اللعبة الوحيدة التى سمح لها بها زوجها ، ذلك الأب الوحش . وكم من سنين كثيرة لعبت معها فى ذلك البيت لعبة الأم والطفل حتى اليوم الأخير ، يوم رأيتها من خلال دمعتين وهى تموت وعليها كبرياء المرأة الخجــول التى أطالت ثوبهــا . ورفعت شعرها . وشعرت حينذاك أننى كاللعبة المهملة فصرخت باكيا أن يدفنــونى معها ، لأن يدها وحــــدها هى التى كانت تربت علىّ دون أن تخدشنى . وبقيت فى نعشهــا يومين قبــل أن يغلقوه ، فبدت وكأنها عاشت طويلا وشاخت فى العمر . وخيل الىّ وأنا أنظر اليها النظرة الأخيرة أنها نسيتنى بطهارتها ، وأنها لن تفنى ولن تبيد . وعرفت أن بكائى كان شيئا كئيبا لا يرجى منه نفع لبتولتها ؛ لذا تراجعت عنها ، وعدت الى الحياة بأعصاب عارية متوفزة كأنها البراغيث .

ودار الزمن دورته واذا بفتاة أخرى تنادينى فى ضوء القمر وتدعونى ولدها ، وتزوجتنى فكان لى فيها ثلاث أمهات التقين فى شخص واحد . أما أنا فمضيت أركض على كفىّ في سعى كليل لكى أرى الله ! (يضحك بوحشية .. ويلبس قناعه) الا أن ذلك « الساخر العتيق » أعشى بصرى فكان علىّ الآن أن أكف عن البحث « عنه » وأن أتجه بدلا منــه الى « الواحد الجاد النــاجح الموجود فى كل مكان » الى الاله الكبير مستر براون ! (ينحنى أمامه انحناءة كبيرة ساخرة) .

براون : (مستثارا ولكن متلطفا) اسكت أيها الأبله ! أنت لا زلت مخمورا . تعال معى ! ودعنا نبدأ ! (يأخذ ديون من ذراعه ويطفىء النور) .

ديـون : (يسمع كلامه الساخر آتيا من جوف الظلام) أنا الشاة جز صوفها فأصبحت عريانة جرداء ! فهيا سقها برفق وتنوير ، أيها القدير براون !

ســـتار

الفصل الثاني

المنظر الأول

المنظر : ردهة بيت سيبل ... بعد سبع سنوات قبيل مغيب الشمس في يوم من أيام الربيع . نفس ترتيب الأثاث الا أن الكرسى والأريكة قد استبدلا بآخرين جديدين ثمنهما غال وألوانهما زاهية ، البيانو الآلى القديم فى الوسط يبدو تماما كمــــا كان ، والمنبه الرخيص لايزال موضوعا فى أعلاه ، وعلى كلا جانبى المنبه ألقى قناعا سيبل وديون . الستار الخــلفى للمنظر مغطى بورق لامع مضىء ، تناثرت فيه صور الفاكهـــــة والأزهار ذات الألوان القرمزية والأرجوانية واحدة فوق أخرى بصورة مخلة خالية من أى نظام واضح .

يرى ديون جالسا على الكرسى فى الناحية اليسرى ، وسيبل جالسة على الأريكة وبينهما منضدة للعب الورق ، وكلاهما منهمك فى اللعب . يرى ديون الآن وقد شاب شعره قبل الأوان ، وبدا وجهه وجه شهيد ناسك عضه الألم وعذاب النفس الا أنه أضيىء من داخل ذاته بهدوء روحانى وطيبة انسانية .

أما سيبل فقد بدت أشد قوة وأكثر شهوانية ، الا أن وجهها ظل محتفظا بنضارته وخلوه من التجاعيد كما زاد هدوءا وعمقا وبدت شبيهة بصنم « الأرض الأم » الثابت الذى لايتحرك .

البيانو ينشج بنفس لحنه العاطفى القديم ، وهما يلعبان الورق بجد واقبال . تتوقف الموسيقى .

سيبل : (بتأمل) أنا أحب هذه الألحان القديمة التى تفيض بالشجن ؛ انها تجعلنى على علم بالناس أعرف دخائل نفوسهم .. وما يجعلهم يحبون جارهم ويقتلونه .. فالموسيقى هى بكاء النفوس وأفراحها !

ديون : (بحنان) وكل نغمة عبارة عن ترتيلة . وهذه الأنغام أبدا تحاول أن تجد « الكلمة » التى كانت فى « البدء » .

سيبل : انها تحاول أن تعرف أكثر من اللازم ، وهذا مما يتعبها ويجعلها واهنة . وأنا لم أحيرها بلغز نفسى وانما قدمت لها نفسى لقمة سائغة ففهمتها ، وعرفت دورها فأدته بطريقة طبيعية . وفى كلا الحالين كنا قادرين على الاحتفاظ بفضيلتنا الحقيقية ، هذا اذا كنت تفهمنى (تلعب بآخر ورقة معها .. وبلا مبالاة) كسبت مرة أخرى .

ديون : (يبتسم) أنت سعيدة الحظ ، وهذا ما لم يواتنى أبدا .

سيبل : أنت تتقدم فى اللعب ، ولكنه يعلم أنك ما زلت تريد أن تكسب .. ولو قليلا .. أما أنا ، فمن

الواضح أن كل ما أهتم به هو اللعب . (توزع الورق من أجل دور آخر) وبمناسبة الحديث عن موسيقاى المسجلة ، أقول ان صاحبنا المستر براون يكره هذا الصندوق العتيق . (وعند ذكر اسم براون يرتجف ديون كأنما أصابه مس على حين غرة ، ويرى فى صراع عنيف مع نفسه . وبينما هى ماضية فى حديثها ، ينهض وكأنه جهاز آلى فيلبس قناعه ؛ ويرى القناع الآن وقد علاه التلف بشكل مروع حتى استبدلت فيه كل صفات الاله بان بما عرف عن الشيطان مفستوفوليس من قسوة واستهزاء) انه لا يعنى الموسيقى المنبعثة من داخله ، فهذه تعجبه بعض الشىء ولكنه يرى أن الصندوق يبدو رثا حقيرا ويود أن نلقى به مع المهملات . الا أننى قلت له ألا يتحكم فى تحكم الزوج لمجرد أنه كان يعولنى فترة طويلة ، هذا والا .. (ترفع بصرها الى أعلى فترى ديون لابسا قناعه وواقفا الى جوار البيانو ..وبهدوء) أهلا ؛ هل عدت الى الغيرة ؟

ديـون : (باستهزاء) هل وقعت فى غرام من يعولك ، أيتها البقرة العجوز المقدسة ؟

سـيبل : (دون أن تغضب) اقطع لسانك ! كنت تطلب منى هذا منذ سنين . كن كما أنت ! فهو وسيم وصحيح معافى .. وان يكن كثير الآثام . والذى جعلك تزعم ما تزعمه هو أنك تظن أن الحب له أهمية بالغة ، فكيف كان ذلك ؟ انه مجرد شىء من أشياء كثيرة يقوم بها الانسان ليحافظ على استمرار الحياة .

ديـون : (بنفس اللهجة) اذن كنت تكذبين حين قلت لى انك أحببتنى ، ألم تقولى ذلك أيتهـا العـاهر العجوز ؟

سـيبل : (بعطـف وحنـان) أنت لن تكبر أبدا ! كنا صديقين لمدة سبع سنوات ، ألم نكن كذلك ؟ ولم أسمح لنفسى أبدا بأن ترغب فيك ولا لنفسك بأن ترغب فىّ . وصحيح أننى أحبك ، ولكنه حب يشتمل على جميع أنواع الحب التى تقيم بناء العالم . حبنا هو خلاصة الحب ، ويخيل الى أنه أغنى أنواع الحب وأسماها ! (لحظة صمت

ثم تقول بتلطف) لا تتوار ، فانى أعرفك .

ديـون : (ينتزع قناعه ، ويأتى اليها منهوك القوى فيجلس عند قدميها ويضع رأسه على حجرها ، ويقول بابتسامة شـاكرة) أنت قوية ، لأنك دائمـا تمنحين ، ولقد منحت ضعفى القوة لكى أعيش .

سـيبل : (تربت على شعره فى أمومة ، وتقول برفق) أنت لست ضعيفا . ولكنك ولدت وفى عينيك صور الأشباح ، وكان عندك من الشـجاعة ما جعلك تنظر فى ظلمات حياتك .. فانتابك الخوف (بعد لحظة صمت) أنا لا ألومك على غيرتك فى بعض الأحيان من المستر براون .. فأنا أغار من زوجتك مع أننى أعلم أنك تحبها .

ديـون : (ببطء) أنا أحب مارجـريت ، ولا أعرف من تكون زوجتى .

سـيبل : (بعد لحظة صمت .. تقـول بضحكة غريبـة كسيرة) آه ، يا الهى ان الحقيقة تلطمنى أحيـانا تلك اللطمة التى أتلقـاها بين عينى حتى ترينى النجوم ! .. وعندئذ أحزن حزنا شـديدا على الكثيرين منكم ، على كل ابن لعين لفظته أمه ..

حتى أود أن أجرى عارية فى الطريق فأحب الغوغاء جميعا حتى أهلك فى حبهم ، وأود أن أمنحكم كلكم ذلك الصنف الجـديد من الترياق الذى يجعلكم تنسون كل شىء .. كل شىء كان دائما أبدا من أجل الخير ! (ثم تقول بابتسامة هازئة) ولكنهم قد لا ينظرون الى بأكثر مما ينظر بعضهم الى بعض ، فيظلون سائرين فى الطـريق حتى يموتوا دون أن تتداركهم معونتى .

ديـون : (وهو حزين) أنت منحتنى من القوة ما أواجه به الموت .

سـيبل : ربما كنت شيئا ذا أهمية ولكن حياتك لا تساوى شيئا . فهناك ملايين من الأحياء يولدون فى كل ثانية . والحياة قد تكلف صاحبها ما لا قبل له باحتماله حتى ولو كان رضيعا .. شأنها شأن أى شىء آخر . والحياة ليست مقدسـة .. وانما المقدس هو ما بداخلك وحده . والذى يبقى هو التراب .

ديـون : (يجثو على ركبتيه ، وبيدين مشبوكتين يرفع بصره شاردا ويصلى بحمية الناسك) « هأنذا بين

يديك ، أيها الاله » .. (ثم فجـأة بنظرة رعب وفزع) لا شيء ! أن تشعر بأن حياة انسان ينطفيء نورها كأنها شعلة عود رخيص من الثقاب .. (يلبس قناعه ويضحك ضحكة صاخبة) أن تغط فى نوم عميق وتعلم أنك لن تستيقظ أبدا ، لن تستيقظ أبدا ، لتقوم ثانية بأداء وظيفة الحياة ! « هبى رياح الموت واسرعى الىّ ! تعالى حالا .. حالا ! » (ينقل هذه العبارة الأخيرة بشوق ساخر) .

سيبل : (تربت على رأسه بأمومة) هنالك ، لا تنزعج . فالموت يولد فى الدم ، وعندما يؤون الأوان ستجده سهلا هينا .

ديون : (يقفز واقفا على قدميه ويخطو مستثارا) لن يطول أمره ؛ فزوجتى استدعت طبيبا أول أمس ، فقال الطبيب ان قلبى انتهى .. بفعل الشراب . وحذرنى ألا أتعاطى قطرة أخرى على الاطلاق والا .. (بسخرية) ماذا أقول ؟ هل لنا فى تناول الشراب ؟

سيبل : (كأنها صنم) أنت وما يحلو لك ، الشراب فى

الكرار . (وبينما هو يتردد) ما الذى جعلك تنكب على هذا الشراب ؟ كنت تتكلم بحماس عن بعض رسومات الكاتدرائية ..

ديـون : (بسخرية لاذعة) وافقوا على تصميمات المستر براون ! وهى تصميماتى فى الحقيقـة ! ولست فى حاجة لأخبرك بهذا . فهو يعطينى اياها واحدا وراء الآخر فاذا هى صحيحة من الناحية الرياضية فحسب وعلىّ أنا أن أقوم بمعالجتها بألوان من الاغراء حتى يرغب الحمقى فى الشراء والبيع ، والزواج والنوم ، والحب والكراهية ، واللعنة والصلاة ! وأفعل هذا بمهارة شيطانية من أجل غبطتهم الكاملة ! ومرة حلمت أننى أرسم ريحا تهب على البحر وطيران السحاب الخاطف يلقى ظلاله على قمم الأشجار ! والآن .. (يضحك) ألا ان الكبرياء خطيئـة .. حتى ولو كانت فى ذكرى الذى مضى من زمان طوبى للمسـاكين بالروح ! (يرتمى متهالكا على كرسـيه ويده ضاغطة على قلبه) .

سـيبل : (كأنها صنم) اذهب الى بيتك لتنام . زوجتك سوف تقلق عليك .

ديــون : انها تعرف .. ولكنها لن تعترف لنفسها أبدا بأن زوجها دخل بيتك قط (بسخرية) أليست النساء مخلصات .. لغرورهن وأمورهن الأخرى !

ســيبل : لا تنس أن براون آت الآن .

ديــون : انه يعرف أيضا ولكنه لا يعترف . وربما احتاج اليّ هنا .. من غير أن يعرف . هل تعرفين ما الذى أثار عاطفته فى البدء حتى استحوذ عليك وحده ؟ لأنه عرف أنك أحببتنى وشعر بأنه مخدوع . وكان يرغب فى ذلك النوع من حب الجسد الذى ظن أنه حبى ! فهو يرى أن ليس لى الحق فى أن أحب ، ويود لو سرق حبى كما يسرق أفكارى.. بسرور .. وعدل . أوه ، أيها الطيب براون !

ســيبل : ولكنك تحبــه ، أيضا ! ويخيل اليّ أنكما ، بطريقة ما ، أخوان . لا بأس ، وتذكر أنه يدفع ، وسيدفع .. بطريقة أو بأخرى .

ديــون : (يرفع رأسه كأنه يهم بازاحة القناع) أنا أعلم ، مسكين يا بيلى ! رب اغفر لى ما ألحقت به من أذى !

ســيبل : (تمد يدها وتأخذ يده) يا للولد المسكين !

ديـون : (يعانقها بنشيج .. ثم بقوة مغتصبة) حسنا ، الى الوطن أيها الجندى المسيحى ! فأنا أقصيت بعيـدا ! وداعا أيتهـا الأرض الأم ! (يهـم بالانصراف ، فتبدو وكأنها ستتركه ينصرف) .

سـيبل : (تتحرك فجأة وتنادى بحـزن عميق) ديون ! (ينظر اليها ، وبعد فترة صمت يتراجع الهوينى فتتكلم وكأنها أم تخاطب ابنها الصغير .. ويسمع صوتها غريبا عميقا آتيا من بعيد) يجب ألا تنسى أن تقبلنى قبل أن تذهب يا ديون . (تزيح قناعه) آلم أقل لك أن تخلع قناعك وأنت فى البيت ؟ انظر الىّ يا ديون . الآن .. فقط .. رأيت شيئا . أخشى أن ترحل بعيدا فى سفر طويل ، وأخشى ألا أراك ثانية لزمن بعيـد . واذن ، فالوداع يا عزيزى . (تقبله برقة فيبدأ فى النشيج فتسلمه قناعه) اليك بالقناع . ولا تأس أو تتوجـع ، وتذكر أن الحياة ليست الا لعبا ، وبعد أن تغط فى نوم عميق سألفك فى الغطاء .

ديـون : (بصيحة مخنوقة تنم عن قلب كسـير) أمى ! (ثم يلبس قناعه بجهد ارادى عنيف .. ويقول

بسخرية) اذهبى الى الشيطان ، أيتها المرأة العاطفية العجوز ! وسأراك غدا ! (يخرج وهو يصفر ، ثم يوصد الباب) .

سيبل : (كأنها صنم مرة أخرى) أية فائدة فى انجاب الأولاد ؟ وأى نفع فى أن نولد لنموت ؟ (تتنهد خائرة القوى ثم تلتفت وتضع قطعة فى البيانو الذى يبدأ فى عزف اللحن العاطفى القديم . وفى الوقت نفسه يدخل براون بهدوء من الجهة اليسرى وهو مثال للرجل الأمريكى الناجح فى اقليمه ، الذى بلغ الأربعين من عمره ولا يزال مملوءا بالشباب ، بهى الطلعة ، حسن الثياب . ويبدو الآن منزعجا فهو لا يستطيع أن يرى وجه سيبل أو قناعها) .

براون : سيبل ! (تنهض ، وتوقف الموسيقى ، وتتناول قناعها ولكن الوقت لا يسعفها بلبسه) ألم يكن ديون هو هذا الذى رأيته الآن خارجا .. بعد كل وعودك فى ألا ترينه أبدا ! (تستدير كالصنم ، ممسكة وراءها بالقناع ، يحدق فيها حائرا .. ويتمتم) أنا .. أنا أستميحك عذرا .. كنت أظن..

سـيبل : (فى صوتها الغريب) ذهبت سيبل لتضرب فى الأرض وتقيم الصلاة .

براون : (بمزيد من التوكيد) ولكن .. أليست هـذه ملابسها ؟

سـيبل : لم تشأ سيبل أن يرانى الناس عارية ، فأنا أختها ، وديون جاء ليرانى .

براون : (كمن أخذ بيده) اذن فهذا هو السبب الذى من أجله جاء ديون ، أليس كذلك ؟ (ثم بتنهيدة مشفقة) مسكينة يا مارجريت ! (ثم بتوبيخ هازىء) يجب عليك ألا تشجعيه ، فهو متزوج وله ثلاثة أبناء كبار .

سـيبل : وأنت ليس لك أبناء .

براون : (مأخوذا) لا ، فلست متزوجا .

سـيبل : أنا وهو كنا صديقين .

براون : (بغمزة هازئة) نعم ، أستطيع أن أتخيل كيف يستهوى الحب الأفلاطونى من كان على شاكلة ديون فى طهره وبراءته ! لن يجدى خداعك لى بشأن ديون ، فقد كنا صديقين منذ أيام الطفولة ، وأنا أعرفه فى سره وعلانيته ، وكنت أقف منه

دائما موقف المدافع مهما كان يفعل .. وعلى هذا يمكنك أن تكونى صريحة صراحة تامة . وما كان حديثى الا من أجل مصلحة مارجريت .، زوجته.. انه لأمر قاس بالنسبة لها .

سيبل : أنت تحب زوجته .

براون : (فاضحا نفسه) ماذا ؟ عم تتكلمين ؟ (ثم بشك وارتياب) لا تكونى حمقاء ! (لحظة صمت ثم يقول وكأنه مدفوع بفضول عنيف) واذن فديون عشيقك ، ايه ؟ هذا شيىء ممتع للغاية . (يدفع بكرسيه قريبا منها) اجلسى ، ودعينا نتكلم . (تظل واقفة ممسكة وراءها بالقناع) خبرينى .. فأنا فى حيرة دائمة .. ما الذى يجعل ديون جذابا عند النساء .. وبخاصة هذا النوع من النساء ، ان كنت تغفرين لى ؟ فهكذا كان دائما ولا يزال ، ومع هذا « فأنا » لم أستطع أن أرى تماما ما يرونه هن فيه . هل هى نظراته .. أو هى نزواته العنيفة .. أو هى أوضاعه الفنية والوجدانية .. أو لأنه شديد الجموح .. أو ماذا يكون على وجه التحديد ؟

سـيبل : انه مملوء بالحياة !

براون : (سرعان ما يأخذ احدى يديها ويقبلها .. ويقول متوددا) حسن ، وألا ترين أننى أيضا مملوء بالحياة ؟ (بشغف) اسمعى ، هل تفكرين فى التخـلى عن ديون .. وتتركيننى أقوم برعايتك تحت نظام شبيه بالنظام الذى وضعته مع سيبل ؟ أنا أحبك ، وتستطيعين رؤية حبى . لن أضايقك كثيرا .. فأنا كثير الانشغال .. تستطيعين أن تفعلى ما تشائين .. وتسيطرين على حياتك الخاصة .. ما عدا شيئا واحدا هو ألا ترينه . (يتوقف ، وتسود لحظة صمت ، تنظر الى الأمام بلا حراك وكأنها لم تسمع شيئا ، فيقول ضارعا) اذن .. ماذا تقولين ؟ أرجو أن تفعلى !

سـيبل : (بصوت شديد الضـعف) قالت لى سيبل أن أخبرك يا مستر براون بأنها ستعود فى الأسبوع القـادم .

براون : (بتوجع غريب) هل تقصدين أنك لن تفعلى كما قلت لك ؟ لا تكونى قاسية الى هذا الحد ! فأنا أحبك ! (تسير مبتعدة . فيمسك بها متوسلا)

على الأقـل .. سأعطيك أى شيء تطلبينه ! ..
أرجو أن تعدينى بأنك لن ترى ديون أنتونى مرة
أخـرى !

سـيبل : (بحزن عميق) هو الذى لن يرانى مرة أخرى ؛
أعدك بهذا ، والوداع !

براون : (يقبل يدها بابتهـاج .. وبتأدب) أشكرك !
أشكرك ! أنا فى غاية الامتنان . (وبلبـاقة)
لا أريد أن أسبب لك مزيدا من الازعاج . وأرجو
أن تغفرى لى تطفلى ، واذكرينى لدى سيبل حين
تكتبين لها . (ينحنى ويستدير ويخرج من جهة
اليسار) .

ســتار

المنظر الثانى

المنظر : غرفة الرسم فى مكتب براون ، فى الوسط منضدة رسم ديون وأمامها كرسى عال بغير مسندين ، وعن يسارها كرسى آخر ، وفى اليمين أريكـــة . الوقت مساء نفس اليوم ، ومنظر الحائط الخلفى رسمت عليه نوافذ مع منظر معتم لبيوت سوداء أضاءها نور الشارع وبدت عبر الطريق .

ديون جالس على الكرسى خلف المنضدة ، يقرأ بصوت عال لقناعه المطروح أمامه على المنضدة ، يقرأ فى كتاب « تقليد المسيح » لمؤلفه توماس أكمبيس ، يرى وجهه أعظم لطفا وأكثر روحانية وأشد شبها بوجوه القديسين والنساك مما كان عليه من قبل .

ديـون : (كأنه قسيس يقيم الصـلوات على المحتضر)

« سرعان ما تبرح هذه الأرض ، وحينذاك ترى كيف تسوى معك الأمور ؛ آه ، أيها الأبله .. تعلم الآن أن تموت من أجل العالم عسى أن تبدأ فى الحياة مع المسيح ! هيا افعل الآن أيها الحبيب، افعل الآن كل ما تقدر عليه لأنك لا تعرف متى تموت ولا تعرف ما أنت ملاقيه بعـد الموت . لتكن فى حياتك كالحاج ، وكالغريب على ظهر الأرض ، الغريب الذى لا تنتمى اليه أحداث هذا العالم ! لتحفظ على قلبك حريته وترتفع

صاعدا الى الرب لأنه ليست هنا دار البقـاء ، ولأنك لا تدرى بأى ساعة سيأتى ابن الانسان »
آمين . (يمسح بيده على القناع كما لو كان يباركه ، يقفل الكتاب ويضعه ثانية فى جيبه ، ثم يرفع القناع بكلتا يديه ، ويحدق فيه برفق وحنان) عليك السلام أيها المعذب المسكين ، يا كبرياء الانسـان الشـجاع الرحيـم ، ان سـاعة خلاصـنا آتيـة . وغـدا قد نرافق « اياه » فى الفردوس ! (يقبله على شـفتيه ، ويضعه فى مكانه مرة ثانية . يسمع فى المدخل صوت وقع أقدام ترتقى السلالم ، فيخطف القناع فى خوف مفاجىء . وبينما يدق الباب ، يلبسه وينادى بسخرية) أدخلى يا مسز أنتونى، أدخلى!
(تدخل مارجريت وفى احدى يديها ، التى أخفتها وراءها عنه ، قناع الوجه الشجاع الذى تلبسه أمام الناس لتدارى عذابها وخيبة أملها ، والذى خلعته الآن فبدا وجهها محتفظا بحلاوته وجماله وان لاحت عليه التجاعيد التى خلفتها همـوم السنين فغدا حزينا مستسلما ولكن فى قليل من الضجر والشـكوى) .

مارجريت : (توبخه وهى خائرة) شكرا لله على أننى وجدتك ! لماذا لم تعد الى البيت فى اليومين الماضيين ؟ ألا يكفيك أن تعود الى الشراب حتى تبقى خارج البيت فتسبب لنا من القلق ما يبلغ حد الهلاك ؟

ديون : (بمرارة) أذناى تعرفان وقع خطاها ، الانسان أصبح يعرف كل شىء .. دون أن يرى شيئا !

مارجريت : وأخيرا أرسلت الأولاد يبحثون عنك ، كما جئت بنفسى . (باشتياق خائر) أظنك لم تأكل شيئا كما هى العادة ، هلا أتيت الى البيت فأشوى لك قطعة من اللحم ؟

ديون : (مندهشا) هل ما زالت مارجريت قادرة على أن تحب ديون أنتونى ؟ هل يمكن هذا الذى تفعله ؟

مارجريت : (تتكلف ابتسامة خائرة) أظن هذا يا ديون ، وما كان ينبغى علىّ أن أفعل ، أليس كذلك ؟

ديون : (بنفس اللهجة) وأنا أحب مارجريت ! يا لنا من أشباح ساكنة مسكونة ! اننا نكاد نتذكر من الأشياء ما يحتاج نسيانه الى ملايين كثيرة من السنين ! (يتقدم أمامها واضعا احدى ذراعيه

حول كتفيها المقوستين ويقبل أحدهما الآخر) .

مارجريت : (تربت على يده بتأثر) لا ، أنت يقينا لا تستحق هذه القبلة . عندما أتوقف لأفكر فى كل ما كابدته طوال السنين التى أقمناها هنا .. ! حقيقة لا أكاد أصدق أننى كنت أكابدها لو لم يكن ذلك من أجل الأولاد ! (تغتصب ابتسامة) ومع هـذا فربما كنت أكابدها لأننى كنت دائما تلك البلهاء الكبيرة المشغوفة بك .

ديـون : (ساخرا بعض الشىء) الأولاد ! ثلاثة أبنـاء أشداء ! تستطيع مارجريت أن تحتمل لتكون شهمة كريمة !

مارجريت : اذا لم يجدوك ، سيأتون الى هنا لملاقاتى .

ديـون : (يخور على ركبتيه بجانبها فجأة .. كأنه الطائش المعذب) مارجريت ! مارجريت ! أنا وحيد ! أنا خائف ! أنا راحل ! على أن أقول الوداع !

مارجريت : (تربت على شعره) أيها الولد المسكين ! أيها المسكين ديون ! تعال الى البيت لتنام .

ديـون : (يقفز ثائرا) لا ! فأنا رجل ! رجل وحيـد ! ولا أسـتطيع أن أعود ! لأننى عرفت نفسى !

(ثم بسخرية يائسة) أنظرى الىّ يا مسز اتتونى!
انها الفرصة الأخيرة ! فغدا سأكون قد انتقلت
الى الجحيم الآخر ! شاهدى زوجك .. الأسير
المسيحى الذى ينوح ويستعطف ويتنكر للحياة ،
والذى تجوهلت بسببه فى أب أولادك فكنت نعم
الشريفة النبيلة ! أنظرى ! (يزيح القناع من على
وجهه الذى يشع بما يكنه لها من حب طاهر كبير،
ومن رقة وحنان) أيتها المرأة .. يا حبى .. الذى
جنيت عليه بقسوتى وكبريائى المريضة .. اغفرى
لى آثامى .. واغفرى لى وحدتى .. اغفرى لى
مرضى.. واعفى عنى ! (يركع ويقبل طرف ثيابها)

مارجريت : (التى كانت تنظر اليه فى فزع ، ترفع قناعها لتتقى
رؤية وجهه) ديون ! كفى ! لا أستطيع احتمال
ذلك ! أنت تشبه الشبح ! أنت ميت ! آه ،
يا الهى ! العون ! العون ! (تسقط على الأريكة
مغشيا عليها ، ينظر اليها .. ثم يأخذ يدها الممسكة
بقناعها وينظر الى هذا الوجه .. وبرقة) .

ديـون : والآن يسمح لى أن أفهمك وأحبك أنت الآخر !
(يقبل القناع أولا .. ثم يقبل وجهها ، ويتمتم)

وأنت يا حبيبتى ! بوركت ، وبورك المتواضعون ثلاثا ! (يسمع وقع أقــدام ثقيلة تهــرول على السلالم فيلبس قناعه فى عجلة ويندفع الأبنــاء الثلاثة داخل الغرفة . الأكبر فى حوالى الرابعة عشرة ، والاثنان الآخران أحدهما فى الثالثة عشرة، والآخر فى الثانية عشرة . يبدون أصحاء أسوياء مستحيين مع شبه كبير بنفس صورة بيلى براون فى المنظر الأول من الفصل الأول ، يتوقفــون قليلا ويتجمدون جميعا فى خط واحد يجيلون النظر بين أبيهم والمرأة المطروحة على الأريكة ، وبلهجة اتهامية) .

الأكبر : سمعنا شخصا يستغيث ، وكان صوته شــبيها بصوت أمنا .

ديــون : (مدافعا) لا ، كان صوت هذه السيدة .. زوجتى.

الأكبر : ولكن ألم تأت أمنا بعد ؟

ديــون : (متجها نحو مارجريت) نعم ، أمكم هنا . (يقف بينهم ويضع قناع مارجريت فوق وجهها .. ثم يخطو الى الوراء) . أغمى عليها ، والأفضل أن تفيقوها .

الأولاد : أمي ! (يهرعون الى جانبها فيركعون ويدعكون رسغيها ، الأكبر يبسط شعرها الى الوراء) .

ديون : (ناظرا اليهم) اننى أتركها على الأقل لمن يعنى بها خير عناية . (يوجه الحديث اليهم مباشرة) قولوا لأمكم انها ستتلقى مكالمة من بيت مستر براون. فعلى أن ألقى عليه الوداع . انى راحل . الوداع . (يقفون ، وينظرون اليه محدقين بعيون امتزجت فيها الحيرة والريبة والألم) .

الأكبر : (بحرج وخجل) باخلاص ، كان يجب عليك أن ...

الأوسط : نعم ؛ باخلاص ، كان يجب عليك ..

الأصغر : نعم ؛ باخلاص ، كان ..

ديون : (بلهجة ودية) أنا أعرف ، ولكنى لم أستطع ، والأمر لكم أنتم يا من تستطيعون . عليكم أن تمتلكوا الأرض ميراثا لها ؛ ولا تنسوا ، والآن أيها الأولاد ، الوداع .

الأولاد : (بنفس لهجة الحرج والوعى الذاتى ، يرددون الواحد بعد الآخر) الوداع .. الوداع .. الوداع . (يذهب ديون) .

ســـتار

المنظر الثالث

المنظر : مكتبة بيت وليم براون ٠٠٠في ليلة ذلك اليوم نفسه٠ ستار خلفى طلى بعناية وبدت فيه آثار النعمة والثراء والتعبير عن ثقافة الطبقة البورجوازية ٠ ورفوف الكتب مملوءة بمجموعات وما شابه ذلك ٠ فى الوسط منضدة ثقيلة غاليـــة الثمن ، على يسارها كرسى بمسندين من الجلد ، وعلى اليمين مضجع وهما وثيران مريحان ، أما مصباح القراءة الموضوع على المنضـــدة فهو المصباح الوحيد فى المكتبة ٠

يجلس براون فى الكرسى على اليسار ، يقرأ فى مجلة معمارية، وقد بدت تعبيرات وجهه هادئة وهو يسترسل فى القراءة بجـــد ووقار ، ووجهه بشكل عام يوحى بوجه القنصل الرومانى المرسوم على قطعة العملة القديمة ٠ وهناك فى وجهه مزية متنافرة هى صفة الايمان الواثق بما ستكلل به أعماله ٠

يسمع صوت طرق عال مفاجىء على الباب الأمامى كما يسمع رنين الجرس ، يتجهم براون وينصت بينما الخادم يفتح الباب ٠ يسمع صوت ديون ساخرا ٠

ديــون : قل له انه الشيطان جاء لينهى الصفقة .

براون : (يكتم ضجره ، وينادى متكلفا السجية الحميدة) هيا ادخل يا ديون . (يدخل ديون وهو فى حالة وحشية ، ملابسه غير مهندمة ، وجهه المقنع شبيه بصورة الموت الحادة المروعة ، وقد صار تهكمه

الساخر حقدا بلغ من قسوته أن خلع عليه مظهر شيطان حقيقى معذب بتعذيب الآخرين) اجلس.

ديــون : (يقف ويغنى) ان روح وليم براون ترقد متعفنة فى مثواها أما جسده فقد خرج هائما !

براون : (يبقى على نفس اللهجة الأخوية العطوفة التى يحاول أن يحتفظ بها طوال المنظر) أستحلفك بالله ألا ترفع صــوتك هكذا ! فأنا لا يهمنى ! ولكن عندى جيران .

ديــون : أحمل لهم الكراهية ! اخش جــارك كما تخشى نفسك ! هذه هى القاعدة الرصاصية التى يسير عليها العاقلون الآمنون . (ثم يتقدم من المنضدة بنوع من هدوء الموتى) اســتمع ! ذات يوم ، وكان عمرى أربع سنوات ، كنت أرسم صورة على الرمل ، فانسل طفل من ورائى وأخذ يطل علىّ ، ولم يكن يستطيع أن يرسم فضربنى بعصا على رأسى وركل الصورة وضحك عندما أخذت فى البكاء . وكان هو — لا ما فعله — هو الذى جعلنى أبكى ! لأننى أحببته ووضعت فيه ثقتى ، وفجأة انتفى فى شخصه اله الخير ليولد انسان

الشر والطغيان ! وكل الناس سمونى الطفل الباكى ، وهكذا أصبحت صامتا فى الحياة ، واتخذت لنفسى قناع الولد الشرير بان لكى أعيش فيه ، وأثور على اله ذلك الولد الآخر ، وأصون نفسى من .. قسوته .. أما ذلك الولد الآخر فشعر بعاره فيما بينه وبين نفسه ولكنه لم يستطع أن يعترف بعاره . ومنذ ذلك اليوم تحول بالسليقة الى الولد الخير ، والصديق الخير ، والانسان الخير .. وليم براون !

براون : (بوجه علاه الخجل) أتذكر الآن . كان مزاحا قذرا . (وعليه أثر الاستياء) اجلس . أنت تعرف أين الشراب ، فاشرب اذا شئت ، وان كان يبدو لى أنك شربت توا ما فيه الكفاية .

ديون : (يحدق فيه لحظة .. ثم بغرابة) شكرا لبراون على أنه ذكرنى ، وينبغى علىّ أن أشرب . (يذهب ويحضر كأسا وزجاجة من الويسكى) .

براون : (يهز كتفيه بروح طيبة) لا بأس ، ولكنك تقيم مأتمك .

ديون : (يعود فيصب جرعة كبيرة فى الكأس) ومأتم وليم براون ! فعندما أموت أنا يذهب هو الى

الجحيم ! فى صحتك ! (يشرب وينظر اليه نظرة مغيظة محنقة ، يبدو براون ضجرا على الرغم منه فتسود لحظة صمت) .

براون : (بمرح مصطنع) والآن مضى أسبوع وأنت على هذه الحال .

ديـون : (يحرجه بالكلام) كنت أحتفل بقبول «تصميمى» للكاتدرائية .

براون : (مازحا) لا شك أنك عاونتنى فيه كثيرا .

ديـون : (بضحك أجش) ما أكمل براون ! لا يهمك ! سأجعله ينظر فى مرآتى فيما بعد .. الى أن يغرق فيها ! (يصب جرعة أخرى كبيرة) .

براون : (يحرجه هو الآخر) على مهلك ، لا أريد أن تلقى حتفك على يدى .

ديـون : ولكنى أريد (يشرب) براون سيظل فى حاجة الىّ .. لأعيد اليه الثقة بأنه على قيد الحياة ! لقـد أحببت وعربدت ، وكسـبت وخسرت ، وغنيت وبكيت ، وكنت عاشقا للحياة ! ولقـد كفيتها حاجتها ، فلئن كانت قد خرجت عن طاعتى اليوم فما ذلك الا لأننى أصبحت أضعف من أن

أبقيها فى عصمتى ؛ فليس يكفى الحياة أن تكون مخلوقها بل عليك أيضا أن تكون خالقها والا سألتك أن تورد نفسك موارد الهلاك .

براون : (بسجية طيبـــة) كلام فارغ ، اذهب الى بيتك لتنام بعض الوقت .

ديـون : (كأنه لم يسمع .. وبتهكم) ولكن ما أعجب ألا تكون خالقا ولا مخلوقا ! وألا توجد لدى الحياة الا فى طى النسيان ! وألا تكون محبوبا من الحياة ! (براون يهتز ضجرا) أن تكون وهما ناجحا ولا زيادة ، اتتاجا لبعض قوى الحيـــاة الخامدة .. أن تكون صبارا لا شوك فيه .. أن تكون خنزيرا بريا مأواه الجبال يتحول الى حلوف يطعمه العلاف ليجعل منه طعـــاما .. أن تكون دون چوان يستعين على الغرام بغدد القرود .. أن تكون حياتك أضحوكة حتى لا يفكر أحـــد فى التفرج عليها !

براون : (مأخوذا .. وبغضب يقول) هذيان !

ديـون : تصور مستر براون وأبواه يحملانه الى الأرض وكأنهما يشركانه فى استعراض للأطفال تمنح فيه

الجوائز للأسمن .. وهو لا يزال يركض فى سباق
الحياة بدينا حتى لا يتعلم المشى ، وحيدا حتى
لا يستطيع الرقص أو الجرى ، ولن يحيا أبدا
حتى يعتنق ترابه ويمتزج بتراب الأرض !

براون : (مقطبا) تخريف ! (ثم بحالة طبيعية مصطنعة)
حسنا يا ديون ، فأنا على أى حـال راض عن
حيـاتى .

ديـون : (بسرعة وبغل) لا ! براون غير راض عن حياته !
انه يصون نفسه بطبقات الشحم التى يكدسها
فوق جسده ، ولكنه فى أعماقه وخباياه يحس
بجرثومة الشك تنخر شغاف قلبه ! وأنا مستمتع
بهذه الجرثومة التى تتلوى فى دمه كأنها علامة
الخطر ، فهى جزء من الحياة الخلاقة التى سرقها
منى براون !

براون : (مغتصبا ابتسامة لاذعة) وهل أسرق الجراثيم ؟
ظننت أنك أصبت بها .

ديـون : (كأنه لم يسمع) انها جراثيمى .. ويمتعنى أن
أراها تنمو وتتكاثر وتصبح كما وفيرا ينهش فى
براون حتى يأتى عليه !

براون : (لا يستطيع أن يكبح القشعريرة) هل تعلم أنك تصبح شيطانا حقيقيا عندما تكون ثملا ؟

ديـون : (بكآبة) لما حرم بان من ضوء الشمس ودفئها رهف حسه واشتد وعيه بذاته ونمت فيه الكبرياء والأخذ بالثأر .. وأصبح أمير الظلام .

براون : (هازلا) أنت يا ديون لا تصلح للقيام بدور بان، ويبدو لى أنك أشبه بباخوس المسمى بشيطان الخمر . (يهتز ديون ويفيق من نوبته ثم يحدق فى براون بكراهية مريعة ، تسود فترة صمت ، يتلوى براون على الرغم منه وينتحـل لهجـة مهدئة) اذهب الى بيتـك وكن قدوة حسـنة ، ولنكتف بالحفل الذى أقمناه ابتهاجا بالموافقـة على تصميمنا ، ولكن ..

ديـون : (فى صوت فولاذى) كنت أنا العقل المفكر ! كنت أنا التصميم ! وحتى نجاحه أنا الذى وضـعت تصميمه .. كنت أسكر وأسخر منه .. أسخر من سيرة حياته ! ولست فخورا ! لأننى سـئمت ! سئمت منه ومن نفسى ! أرسم وأسكر ! لأنقذ زوجتى وأولادى ! (يضـحك) ها ! وهـذه

الكاتدرائية هى تحفتى الرائعة ! وستجعل من براون أشهر معمارى فى هذه الولاية التى هى مدينة الله . لقد أودعت فيها الكثير .. آخر ما تبقى من حياتى ! انها اللعنة الدائمة من أسفل قاعدتها الى أعلى قمتها ! .. ولكنها مخبوءة حتى لا يعرف الحمقى طريقها أبدا . وسيركعون ويعبدون سالينوس اله السخرية الذى يقول لهم ان الخير الخالص لن يولد أبدا ! (يضحك ضحكة المنتصر) ولا بأس ، فاللعنة هى الايمان، أليس كذلك ؟ والشيطان لابد أن يؤمن بخلود النفس ! ولكن المستر براون ، براون الكبير ، ليس عنده ايمان ! فهو لم يستطع أن يصمم كاتدرائية دون أن تكون على هيئة « البنك الخرافى الأول » ! انه لا يؤمن الا بخلود البطن! (يضحك بشراسة .. ثم يغوص فى كرسيه ضاغطا على قلبه بيديه المشبوكتين ، وسرعان ما يصبح ساكنا سكون الموتى ، ويتمتم كأنه حقود قاس يصدر الحكم بالادانة) من الآن فصاعدا ، لن يضع براون تصميما لشىء . وسيكرس حياته

لترميم بيت عشيقتى سيبل ويجعله بيتا لزوجتى مارجريت !

براون : (ينهض واقفا على قدميه ، وقد انقبض وجهه بألم غريب) احتملت بما فيه الكفاية ! ولشد ما جرؤت .. !

ديون : (فى صوت من يسبر غوره) لماذا لم تحبه امرأة قط ؟ ولماذا كان دائما الأخ الأكبر ، والصديق ؟ هل بسبب ثقتهن فيه .. أم احتقارهن له ؟

براون : أنت تكذب !

ديون : لماذا لم يقدر أبدا على أن يحب .. منذ أحب زوجتى مارجريت ؟ ولماذا لم يتزوج قط ؟ لماذا حاول أن يسرق سيبل ، كما حاول فيما مضى أن يسرق مارجريت ؟ ألم يكن ذلك بدافع الانتقام.. والحسد ؟

براون : (بعنف) سخف ! رغبت فى سيبل فاشتريتها !

ديون : اشتراها براون من أجلى ! وأحبتنى أكثر من أى حب رآه !

براون : أنت تكذب ! (ثم بغضب) ولسوف ألقى بها الى قارعة الطريق !

ديـون : الىّ ! الى رفيقها المخلوق ! لماذا لم يكن لدى براون أولاد .. وهو الذى يحب الأولاد .. وهو الذى يحب « أولادى » .. وهو الذى يحسدنى على « أولادى » ؟

براون : (وهو كسير) لا أستحى من أن أحسدك عليهم!

ديـون : وهم أيضا يحبون براون .. كصديق .. كواحد مثلهم .. كما كانت مارجريت تحبه دائما ..

براون : (بانكسار) وكما كنت أحبها !

ديـون : كم من ملايين المرات فكر براون فيما لو اختارته بدلا منى فكان ذلك أفضل لها بكثير !

براون : (وهو متألم) أنت تكذب ! (ثم باستفزاز محموم مفاجىء) وهو كذلك ، أنا أحب مارجريت اذا كنت ترغمنى على أن أقولها ! كنت دائما أحبها ، وكنت دائما تعلم ذلك !

ديـون : (بثبات مريع) لا ! فهذا هو المظهر وحده ، وليس الحقيقة ! والحقيقة أن براون يحبنى أنا ! يحبنى لأنى أملك دائما القوة التى يحتاج اليها لكى يحب ، يحبنى لأنى أنا الحب !

براون : (كالممسوس) أيها السكير التافه ! (يقفز على ديون ويمسك بخناقه) .

ديــون : (يطل في عينيه ، وبلهجة المنتصر) آه ! انه الآن ينظر في المرآة ! انه الآن يرى وجهه ! (يخلى براون سبيله ، ويعود الى كرسيه شاحبا مترنحا).

براون : (بتوسل) كفى ، لوجه الله ! فأنت مجنون !

ديــون : (يخور في كرســيه ، وبضــعف متزايد) انى قضيت . وهو قلبى .. وليس براون . (وبتهكم) اليك وصيتى ورغبتى الأخيرة ! انى تارك ديون أنتونى الى وليم براون.. اتركه له ليحب ويطيع.. اتركه له ليصبح « أنا » .. وهنا سوف تحبنى زوجتى مارجريت .. وسوف يحبنى أولادى .. وسوف يكون المستر براون وزوجته وأولادهما سعداء مدى الحيــاة ! (يترنح بجمع كيانه ، ويتطلع اليه بتحد) لا شىء أكثر من هذا .. اللهم الا نظرة انسان أخيرة..يتوج بها انتصاره .. لكى يضحك ! ها .. (يهم فيقف كالمشلول ، ويسقط على ركبتيه قرب كرسى براون فينزاح قنــاعه ويبدو وجهه وكأنه الشهيد المسيحى ، أشرف على

الموت) سامحنى يابيلى ؛ ادفنى ، وواررنى التراب. وانسنى من أجل أن تعيش سعيدا ! عسى أن تحبك زوجتى مارجريت ! وعسى أن تصمم « معبد الروح الانسانية » ؛ طوبى للمتواضعين وطوبى للمساكين بالروح ! (يقبل قدمى براون ثم يزداد صوته ضعفا وطفولة) . فيم كانت الصلاة ، يا بيلى ؟ كنت أغط فى النوم ..

براون : (فى لهجة من غشيته غيبوبة) « أبانا الذى فى السموات » .

ديون : (باغفاءة) « أبانا » .. (يموت ، وتسود فترة صمت ويبقى براون فى غيبوبة فترة من الوقت.. ثم يجاهد نفسه ويضع يده على صدر ديون) .

براون : (بخمول وبلادة) مات .. آخر الأمر . (يقول هذا بطريقة آلية لا وعى فيها ولا ادراك غير أن الكلمتين الأخيرتين توقظانه .. وبذهول) آخر الأمر ! (ثم بلهجة المنتصر) آخر الأمر ! (يحدق بازدراء فى وجه ديون الحقيقى) اذن فهذا هو المسكين الحائر الذى كنته فى الحقيقة ! ولا عجب أن كنت مخبوءا ! وكنت دائما فى خوف منك ..

نعم ، ولسوف أعترف بها الآن ، في خوف منك!
بخ ! (يرفع القناع من على الأرض) لا ، لم
أكن أخاف منك ! كنت أخاف من هذا ! وقل
ما تشاء ، فقد كنت قويا عندما كان القناع شريرا !
وهذا هو ما أحبته مارجريت ، لا أنت ! لا أنت !
هذا الرجل ! هذا الرجل الذى أعطانى نفسه !
(يقفز على قدميه وقد طرأت على رأسه فكرة)
يا الهى ! (يبدأ فى لبس القناع ببطء ، ويسمع
دقا على باب الشارع ، فينتابه شعور بالذنب
فيضع القناع على المنضدة ، ثم يسرع ثانية
بالتقاطه ، ويأخذ الجثة الهامدة ويحملها الى
الجهة اليسرى ، وسرعان ما يعود ويتجه الى
الباب الأمامى بينما يبدأ الدق مرة ثانية ..
بخشونة) . أهلا ! من هناك ؟

مارجريت : أنا مارجريت يابيلى ، انى أبحث عن ديون .

براون : (بارتياب) أوه ، وهو كذلك .. (يفتح الباب)
أدخلى ، أهلا يا مارجريت . أهلا بالأولاد ! انه
هنا . انه نائم . وأنا .. أنا أيضا كنت على وشك
النعاس .

(تدخل مارجريت مرتدية قناعها ومعهـــا أبناؤها الثلاثة) .

مارجريت : (ترى الزجاجة فتغتصب الضحكة) هل كان يقيم الاحتفال ؟

براون : (الآن بلباقة غريبة) لا . لم يكن هو ، وانما كنت أنا . فالليلة أقسم أنه سيمتنع عن الشراب .. الى الأبد .. من أجلك .. ومن أجل الصغار !

مارجريت : (بفرحة ذاهلة) ديون قال هــذا ؟ (وسرعان ما تقول مدافعة) ولكنه بالطبع لم يكن يفرط فى الشراب . أين هو ؟

براون : فوق . وسوف أوقظه . شــعر بالتعب ، فخلع ملابسه ليأخذ حماما قبل أن يرقد . انتظرى هنا قليــلا . (تجلس فى الكرسى حيث كان يجلس ديون وتنظر محدقة الى الأمام . يتجمع الأبناء حولها كأنهم يستعدون لأن تلتقط لهم صــورة عائلية ، يخرج براون مهرولا من جهة اليسار) .

مارجريت : تأخر الوقت يا أولادى حتى أبقيكم ساهرين ، ألا تشعرون بالنعاس ؟

الأولاد : لا ، يا أمى .

مارجريت : (فخورة) يسرنى أن يكون لى ثلاثة أولاد أشداء يسهرون على حمايتى .

الأكبر : (بزهو) نقتل أى واحد يمسك ، ألا نستطيع ؟

الأوسط : تراهننى ! أننا نجعله يندم على ما فعل !

الأصغر : تراهن !

مارجريت : أنتم أولاد أمكم الشجعان ! (تضحك بهيام .. ثم بفضول) هل تحبون مستر براون ؟

الأكبر : شىء أكيد ! فهو صديق صحيح .

الأوسط : ليس فيه عيب !

الأصغر : شىء أكيد !

مارجريت : (مخاطبة نفسها بعض الشىء) أبوكم يقول انه يسرق أفكاره .

الأكبر : (بابتسامة غريرة) أراهن أن أبى قال هذا عندما كان .. مجرد كلام .

الأوسط : مستر براون لا يسرق ، ولماذا يسرق ؟

الأصغر : أنا أقول لا ! فهو غنى جدا .

مارجريت : هل تحبون أباكم ؟

الأكبر : (بتثاقل .. وارتباك) لماذا .. طبعا ..

الأوسط : (مثل أخيه) شىء أكيد !

الأصغر : أحبه بالتأكيد .

مارجريت : (بتنهيدة) أرى من الأحسن أن تذهبوا الآن .. قبل .. قبل أن يأتى أبوكم .. سيكون مريضا جدا .. ومتعب الأعصاب يريد أن يكون فى هدوء . ولذلك اذهبوا بسرعة !

الأولاد : وهو كذلك . (يخرجون فى طابور ويقفلون الباب الأمامى بينما يظهر براون من ناحية اليسار مرتديا ملابس ديون وواضعا قناعه) .

مارجريت : (تخلع قناعها ، وبانشراح) ديون ! (يحدق كل منهما فى الآخر باندهاش ، تذهب اليه وتطوقه باحدى ذراعيها) مسكين ياعزيزى ، هل تشعر بالتعب ؟ (يحنى رأسه علامة على الموافقة) ولكنك تبدو .. (وهى تضغط ذراعيه) .. لماذا، وأنت تشعر فعلا بأنك أقوى وأحسن من قبل ! هل صحيح ما قاله لى بيلى .. عن قسمك بالامتناع عن الشراب الى الأبد ؟ (يحنى رأسه موافقا فتصيح بشدة) أوه ، لو أنك فعلت مرة.. واستعدت صحتك .. كم نستطيع أن نعيش سعداء ! أعط الأم قبلة . (يغيبان فى قبلة ،

وتسرى رعشة فى كل منهما فتقطع القبلة وهى تضحك برغبة مثيرة) لماذا يا ديون ؟ ألا تشعر بالخجل ؟ لم تقبلنى بهذا الشكل منذ وقت طويل!

براون : (يقلد صوت ديون ويتستر فى القناع) كنت أرغب فى هذا ، يامارجريت !

مارجريت : (الآن بدلال وانتشاء) هـل كنت تخشى أن أزدريك ؟ لماذا تغيرت يا ديون ، ان شيئا ما قد حدث ، شيئا شبيها بالمعجزة ! حتى صوتك قد تغير ! لا شك أنه يبدو أكثر شبابا ، هل تعرف هذا الشىء ؟ (ثم بجزع وتلهف) ولكن لابد أنك تعبان ، فهيا نذهب الى البيت . (وبحركة تلقائية تفتح ذراعيها على سعتهما ، وتلقى بقناعها بعيدا عنها كأنها لن تحتاج اليه أبدا) أوه ، بدأت أشعر أننى فى غاية السعادة .. فى غاية السعادة يا ديون !

براون : (باختناق) هيا بنا نذهب الى البيت . (تطوقه بذراعيها ، ويسيران تجاه الباب) .

ســـتار

الفصل الثالث

المنظر الأول

المنظر : غرفة الرسم ومكتب براون الخاص يشاهدان معا ، الأولى تقع فى جهة اليسار ، والآخر على اليمين من حائط قاطعة فى الوسط • ترتيب الأثاث فى كل غرفة هو نفس الترتيب الذى كان عليه فى المناظر السابقة • فى العاشرة صباحا بعد مضى حوالى شهر على المنظر السابق • هذا والستار الخلفى لكل من الغرفتين عبارة عن حائط بسيط ثبتت فيه بعض التصميمات ، وعلقت عليه صور مطبوعة لونها أزرق •

وهناك رسامان ، واحد فى منتصف العمر ، والآخر فى طور الشباب ، وهما منحنيا الظهر ، جالسان على كرسيين بغير مساند وراء ماكان من قبل منضدة لديون • يقومان بنسخ الخرائط ، وبالحديث معا أثناء العمل •

الرسامالأكبر: عاد وليم براون الى التأخير .

الرسامالأصغر: أنا فى عجب لما أصابه فى الشهر الماضى (فترة صمت ، يعملان صامتين) .

الرسامالأكبر: نعم ، منذ أن فصل ديون من عمله ..

الرسامالأصغر: غريب أن يفصله فجأة وبمثل هذه السرعة (فترة صمت ، وهما يعملان) .

الرسام الأكبر: لم أر ديون فى المدينة منذ ذلك الوقت ، هـل رأيته أنت ؟

الرسام الأصغر: لا ، لم أره منـذ أن قال براون أنه فصـله من العمل ، وأظن أنه يغرق حزنه فى الشراب !

الرسام الأكبر: سمعت أن أحدا رآه فى البيت ، وأنه كان بهى الطلعة غير سكران . (لحظة صمت . يعملان) .

الرسام الأصغر: ماذا دهى براون ؟ يقولون أنه طرد جميع خدمه القدامى فى ذلك اليوم ، وأنه يستعمل بيته لينام فيه فقط .

الرسام الأكبر: (بتهكم) المزاج الفنى ، ولعله الاسم الحقيقى للزهو والخيلاء ! (صوت وقع أقدام يأتى من القاعة ، وبتحذير) هس ! (ينكفئان كل على منضدته ، تدخل مارجريت . وهى الآن ليست فى حاجة الى لبس القناع .. فقد استعاد وجهها روح الثقة بالنفس التى كانت لهـا أيام الشـباب ، وأشرقت عيناها بالسعادة) .

مارجريت : (بحماس) صباح الخير ! يا له من يوم جميل !

الرسامان : (بفتور) صباح الخير يا مسز أنتونى .

مارجريت : (ناظرة فيما حولها) لقد غيرتم أماكنكم هنـا ،

أليس كذلك ؟ أين ديون ؟ (يحدقان فيها) نسيت أن أخبره فى الصباح بأمر هــام ، والتليفــون معطل ، فلو تقولان له أننى هنا .. (لا يتحركان، تسود فترة صمت ، فتقول مارجريت بتوتر) أوه ، أعلم أن المستر براون أعطى أوامر مشددة بألا يزعج ديون ، ولكن لا شك .. (بحدة) أين زوجى ، من فضلكما ؟

الرسامالأكبر: لا نعرف .

مارجريت : ألا تعرفان ؟

الرسامالأصغر: لم نره .

مارجريت : عجبا ، فقد غادر البيت فى الثامنة والنصف !

الرسامالأكبر: ليأتى الى هنا ؟

الرسامالأصغر: هذا الصباح ؟

مارجريت : (مستثارة) عجبا ، بالطبع ليأتى الى هنا .. كما يفعل كل يوم ! (يحملقان فيها ، وتسود فترة صمت) .

الرسامالأكبر: (متملصا) لم نره .

مارجريت : (بشراسة) أين المستر براون ؟

الرسامالأصغر: (متململا ، وصوت وقع أقدام يأتى من الخارج)

سيأتي الآن . (يدخل براون ، وهو الآن يرتدى قناعا مشابها تماما لما كان عليه وجهه فى المنظر السابق .. وجه الرجـل الواثق من نجـاحه . وعندما يرى مارجريت يتراجع خائفا مذعورا) .

براون : (سرعان ما يسيطر على نفسه ، وبترفق) أهلا ، يا مارجريت ! هذه مفاجأة سارة ! (يمـد يده مصافحا) .

مارجريت : (تأخذها بصعوبة .. وبتحفظ) صباح الخير .

براون : (ملتفتا بسرعة الى الرسامين) أرجو أن تكونا قد أوضحتما لمسز أنتونى مدى انشغال ديون ..

مارجريت : (مقاطعة اياه ، وبغلظة) مؤكد أننى لا أستطيع أن أفهم ..

براون : (بسرعة) سأوضح لك الأمر ، ادخلى هنـا ، وهدئى نفسك . (يفتح الباب ، ويلوح لهـا بالدخول الى مكتبه الخاص) .

الرسام الأكبر: لابد أن ديون يدبر لها خدعة .

الرسام الأصغر: يتظاهر بأنه لا يزال هنا .. وبراون يساعده ..

الرسام الأكبر: ولكن لماذا يفعل براون ، بعد أن .. ؟

الرسام الأصغر: نعم ، فأنا أظن .. سأتحرى . (يعملان) .

براون : اجلسى يا مارجـريت . (تجلس عـلى الكرسى متوفزة ، ويجلس هو وراء المكتب) .

مارجريت : (ببرود) أريد شيئا من التوضيح ..

براون : (ملاطفا) والآن ، لا تغضبى يا مارجريت ! ديون مجد فى عمل تصميمه لمبنى الحكومة الجديد ، ولا أريد أن يزعجه أحد ، حتى ولو كان أنت ! ولهذا كونى رواحه ! وتذكرى أن هذا لمصلحته الشخصية ! كما أننى طلبت منه أن يوضح لك الأمر .

مارجريت : (راضخة) قال لى أنك طلبت منه الا نأتى الى هنا .. أنا والأولاد ؛ ولكننا لم نكن نأتى الا فى النـادر .

براون : ولكنه الواجب عليكم ! (ثم بثقة وصداقة) هذا من أجله يا مارجريت . أنا أعرف ديون فهو قادر على العمل حين لا يكون هناك ما يشغله ، وهو ليس بالانسان العادى ، وأنت تقدرين هـذا ؛ فضلا عن أن هذا التصميم يعنى مستقبله كله ! ويجب أن يحصل من ورائه على الثقة الكاملة ، وما أن يقبل هذا التصميم حتى أجعله شريكا لى.

تم الاتفاق على كل شيء ، وبعد ذلك سأقوم بأجازة طويلة .. سأذهب الى أوروبا لمدة سنتين.. وأترك كل شيء هنا بين يدى ديون ! ألم يخبرك بهذا كله ؟

مارجريت : (وقد تهللت الآن) نعم .. ولكنى لا أكاد أصدق.. (بفخر) أنا واثقة أنه يقدر على عمل هذا التصميم ، ففى الأيام الأخيرة أصبح انسانا جديدا .. انسانا كله طموح ونشاط ! وهذا ما جعلنى فى غاية السعادة ! (تتوقف فى ارتباك).

براون : (وقد اهتز فى أعماقه ، يأخذ يدها بطريقة لاشعورية) وجعلنى سعيدا ، أنا أيضا !

مارجريت : (مرتبكة ، وبضحكة لاهية) لماذا ، يابيلى براون! منذ لحظة ظننت أنك ديون فصوتك كان كثير الشبه .. !

براون : (بيأس مفاجيء) مارجريت ، كان يجب علىّ أن أخبرك ! فأنا لا أستطيع أن أستمر فى ذلك ! كان يجب علىّ أن أعترف .. ! هناك شيء ما .. !

مارجريت : (مذعورة) لا .. ليس عن ديون ؟

براون : (بشراسة) ليحترق ديون ! وليحترق بيلى براون!

(ينتزع قناعه فيكشف عن وجه أسيان بدا كسيفا خائرا ، ذلك لأن وجهه قد عذبه وأضناه شيطان قناع ديون) . فكرى فىّ أنا ! فأنا أحبك يا مارجريت ! اهجريه ! فأنا أحببتك دائما ! تعالى معى نرحل ! سأبيع ما أملكه هنا ! ونسافر الى الخارج لننعم بالسعادة !

مارجريت : (كالممسوسة) بيلى براون ، هل تعى ما تقوله ؟ (بقشعريرة) هل أنت مجنون ؟ ان وجهك مرعب. أنت مريض ! هل أستدعى طبيبا بالتليفون ؟

براون : (يستدير مبتعدا ببطء ، ويلبس قناعه .. وبيلادة) لا ، كنت على الحافة .. حافة الانهيار العصبى .. لفترة من الوقت . وتصيبنى نوبات .. ولكننى أحسن الآن . (يلتفت اليها) سامحينى ! وانسى ما قلته ! ولكن ، لا تأتى الى هنا ثانية من أجلنا جميعا .

مارجريت : (ببرود) بعد هذا .. أؤكد لك أنك .. ! (ثم تنظر اليه بريبة أليمة) لماذا يا بيلى .. أنا لا أكاد أصدق .. بعد كل هذه السنين !

براون : لن يحدث هذا مرة ثانية ، الوداع .

مارجريت : الوداع . (ثم تغتصب ابتسامة ، راغبة فى الانتقال الى موضوع سار) لا تقضى على ديون بالعمل ! لم يعد يأتى الى البيت للعشاء . (تخرج مارة بالرسام فى الجهة اليمنى ، وتمشى حتى المؤخرة ؛ يجلس براون الى مكتبه وينتزع القناع مرة ثانية ويحدق فيه بتفكه مرير ساخر) .

براون : أنت ميت يا وليم براون ، ميت ولا أمل لك فى بعث أو نشور ! انه ديون الذى دفنته فى حديقتك هو الذى قتلك ، ولم تكن أنت الذى قتلته ! انه زوج مارجريت الذى .. ! (يضحك بشراسة) جنة بالنيابة ! حب بشخصية منتحلة ! يا رب ! (يقول ذلك فى نبرات المصلى .. ثم فى نبرات الشرس الجسور) مهما يكن من شىء « فهى » جنة ! وأنا أحب ! (وبينما هو يتكلم ، يدخل غرفة الرسم رجل بدين الجسم ، حسن الهندام ، له شأنه وأهميته ، يحمل فى يده خريطة مطوية ؛ ينحنى مجاملا ويتجه مباشرة الى باب غرفة براون فيدق عليه بسرعة وحدة ، ودون أن ينتظر

الجواب يدير الأكرة ويكون براون بالكاد قد أدار رأسه ولبس قناعه) .

الرجل : (برشاقة) أوه ، صباح الخير ! دخلت مباشرة ، فأرجو ألا أكون قد أزعجتك .. ؟

براون : (والآن بدماثة المعماري الناجح) لا يا سيدي ، على الاطلاق . كيف حالك ؟ (يتصافحان) اجلس ، وتفضل سيجارا . والآن ، ما الذي أستطيع أن أعمله لك هذا الصباح ؟

الرجل : (يفرد الخريطة) انه رسمك . أنا وزوجتي أعدنا النظر فيه .. فأعجبنا ولم يعجبنا ! فعندما يصرف الانسان نصف مليون على مشروع ، فهو يريد أن يكون كل شيء فيه على ما يرام ، ايه ؟ (براون يومىء موافقا) انه بارد جدا ، هزيل جدا ، ولا تؤاخذني ، فهو شديد الشبه بضريح الموتى منه الى بيت السكنى ! ألا تستطيع أن تبعث فيه الحياة بأن تضيف اليه بعض الزخارف فتشيع فيه الدفء وتضفي عليه الخيال .. أنت تعرف ماذا أقصد . (ينظر اليه بقليل من الارتياب) قال لي الناس انه كان عندك مساعد اسمه أنتوني ، وأنه

كان ماهرا فى عمـل هـذه التفصيلات ولكنك فصلته من العمل ..

براون : (بتلطف) اشاعات ! فهو لا يزال معى ؛ ولأسباب تخصه ، لا يريد أن يعرف أحد . نعـم ، قمت بتمرينه وهو فى غاية البراعة .. سأحيل عليه هذا الرسم فورا وأرشده الى تنفيذ رغباتك ..

ستـــار

المنظر الثانى

المنظر : هو نفسه الذى كان عليه فى المنظر الثالث من الفصل الثانى ٠٠٠ مكتبة بيت براون فى حوالى الثامنة من الليلة نفسها٠ ويمكن سماع صوت براون وهو يتلمس طريقه فى الظلام ٠ ويضىء مصباح القراءة الموضوع أمامه على المنضدة ، حيث يرى تحتهـــا مباشرة قنـــاع ديون قائما وعيناه الفـــارغتان شاخصتان الى الأمام ٠

ينتزع براون قناعه ويطرحه على المنضدة أمام قناع ديون ، يلقى بنســـفه فى الكرسى ويشخص ببصره دون حراك فى عينى قناع ديون ٠ وأخيرا يبدأ فى الحديث اليه بلهجة مريرة ساخرة ٠

براون : اسمع ! كان سبيل الفرار ضيقا اليوم .. أمامنا ! ولم يعد يمكننا تجنب الفضيحة ، ولزاما علينا أن نبدأ العمل فى تنفيذ خطتنا ! وقبل الآن فرغنا من اعداد وصية وليم براون .. التى ترك لك فيها أمواله وأعماله . والآن ينبغى علينا أن نسارع بالسفر الى أوروبا .. حيث نغتاله هناك ! (بشىء من الاحراج) أما أنت .. أقصـــد أنا الذى فى داخلك .. فسأعيش أنا ومارجريت حياة ترفرف عليها السعادة الى الأبد . (بمزيد من الاحراج)

وسوف أنجبها الأولاد ! (يبدو أنه يسمع صوتا هازئا يأتى من القناع معارضـــا اياه ، فينحنى نحوه) ماذا ؟ (ثم بازدراء) وعلى أى حال ، فهذا لا يهم ! أولادك يحبـــوننى الآن أكثر مما أحبوك من قبل ! ومارجريت تحبنى أكثر ! أتظن أنك ظفرت .. لأنى ذهبت أتوارى فى داخلك لكى أعيش من خلالك ؟ كلا يا صديقى ، فهذا لم يكن! لا ولن يكون أبدا ! انتظر وسترى مارجريت بمرور الأيام وهى تحب ما يكمن .. فى داخلى ! وسأعدها لمعرفتى شيئا فشيئا ، ثم فى آخر الأمر أكشف لها عن نفسى وأعترف لها بأننى سرقت مكانك ، ولكن من أجل حبى لها . ولسوف تفهم وتعفو عنى وتقع فى حبى ! أما أنت فستكون فى زوايا النسيان ! ها ! (ينحنى ثانية على القناع كما لو كان ينصت له .. ويقول وهو متألم) ماذا أقول ؟ انها لن تصدق أبدا ؟ ولن ترى أبدا ؟ ولن تفهم أبدا ؟ أنت تكذب ، أيها الشيطان ! (يمد يديه وكأنه يحاول أن يأخذ بخناق القناع ، ثم يتراجع مرتجفا وقد علته قشعريرة من اليأس

الذى لا أمل فيه) رحماك يا الهى ! خذ بيدى الى الايمان ! طوبى للراحمين ! ولتدركنى رحمتك يا رب ! (ينتظر ، ويرفع وجهه الى أعلى ، وبضراعة) ألم يئن الأوان ؟ (وييأس) أبدا ؟ (فترة صمت ، ثم بحركة مباغتة من الخوف الرهيب يمد يده الى قناع ديون وكأنه الدواء وجده بعد نوبة من الخدر .. وما ان يمسك به حتى يبدو كأنه اكتسب القوة وأصبح فى مقدوره آن يتكلف الضحك الحزين) أنا الآن أتعاطى قوتك يا ديون .. قوتك على أن تحب فى هذه الدنيا ، وعلى أن تموت وتنام وتصير ترابا مثمرا ، كما أنت الآن فى حديقتى .. ففى ضعفك قوة أزهارى ، وفى فشلك كفنان ما أضفى على وريقاتها الحياة ! (ثم بشجاعة) تعال معى يا مستر آنتونى طالما أن عريس مارجريت يرتدى ملابسك ! فأنا أحتاج الى الشيطان عندما أكون فى غسق الظلام ! (يخرج من جهة اليسار ولكن يمكن سماعه وهو يتكلم) بدأت ملابسك تلائمنى أكثر من ملابسى ! فسارع ، يا أخى !

حان وقت ذهابنا الى البيت ، وزوجتنا فى انتظارنا!
(يعود فيظهر وقد غير معطفه وسرواله) تعال
معى وقل لها مرة ثانية انني أحبها ! تعال واسمعها
تقول لى كيف أنها تحبك ! (وفجأة يبدو وكأنه
لا يستطيع أن يقاوم رغبته فى تقبيل القناع)
أنا أحبك لأنها تحبك ! وقبلاتى على شفتيك من
أجلها هى ! (يضع القناع على وجهه ويقف لحظة ،
فيبدو وكأنه ازداد طولا وكبرياء .. ثم بضحكة
الجسور الواثق من نفسه) الى الخـارج من
الباب الخلفى ! يجب ألا أنسى أننى مجرم يائس ،
تطارده نفسه ويطارده الله ! (يخرج من جهـة
اليمين ، وهو يضحك ضحكة راضية لاهية) .

ستار

المنظر الثالث

المنظر : هو نفسه كما فى المنظر الأول من الفصل الأول ..
غرفة الجلوس فى بيت مارجريت بعد حوالى نصف ساعة من المنظر السابق . ترى مارجريت جالسة على الأريكة تنتظر بقلق وملال وترقب المحب الولهان وقد ارتدت ملابسها بعناية وزينتها بمهارة تجذب العين . تبدو فى شباب وسعادة ، تحاول أن تقرأ فى كتاب فتسمع صوت الباب الأمامى يفتح ويوصد فتنهض وتجرى مسرعة لتلقى بذراعيها حول براون وهو يدخل من اليمين فى المؤخرة . تقبله قبلة عاطفية .

مارجريت : (بينما يتقهقر بنـــوع من الاحساس بالاثم .. ضاحكة) لماذا ، أيها الشيء الكريه القديم ، أنت! اعتقدت اعتقادا حقيقيـــا أنك كنت تتحاشى أن تقبلنى ! حسن ، ولهذا وحده لن أحاول أبدا ..

براون : (يقبلها مرة بعد مرة بعاطفـــة قوية ملتهبـــة) مارجريت !

مارجريت : قل لى بيجى من جديد ، كما اعتدت أن تقول عندما كنت تحبنى . (بنعومة) هل تذكر يوم الحفل المدرسى الراقص .. يوم كنا أنا وأنت على رصيف الميناء فى ضوء القمر ؟

براون : (بتوجع) لا . (يسحب ذراعيه من حولها) .

مارجريت : (وهى لا تزال متعلقة به .. تضحك) حسن ، فأنا أحب ذلك ! وأنت أيها الدب العجوز ! لماذا تقول لا ؟

براون : (بحزن) كان ذلك منذ وقت طويل .

مارجريت : (بشيء من الاكتئاب) هل تقصد أنك لا تريد أن تذكر بأننا أصبحنا عجوزين ؟

براون : نعم . (يقبلها برقة) آنا متعب ، دعينا نجلس . (يجلسان على الأريكة ، ذراعه حولها ورأسها على كتفه) .

مارجريت : (بتنهيدة فيها سعادة) لا يهمنى أن تتذكر .. فأنا سعيدة الآن . ولا يؤلمنى ذلك الا عندما أكون تعيسة .. ولشد ما أنا سعيدة فى الأيام الأخيرة ، يا عزيزى .. ولشد ما أنا شاكرة لك ! (يهتـز قلقا وتمضى فى حديثها مرحة) كل شيء تغير ! كنت أرضخ لكل .. عن طيب خاطر وعن يأس وحزن ، ومرة واحدة عدت الى ما كنت عليـه وأصـبح كل شيء كما كان فى بدء حيـاتنا الزوجية .. بل وأفضل بكثير ، لأننى حينذاك لم

أكن واثقة منك أبدا . كنت دائما غريب الأطوار، منطويا على نفسك ، مبتعدا عن الناس ، حتى بدا لى أننى لم أكن أثيرك أبدا . أما الآن فأحس أنك أصبحت انسانا سويا .. مثلى .. وأنا فى غاية السعادة ، يا عزيزى ! (تقبله) .

براون : (بصوت مرتعش) اذن ، فأنا جعلتك سعيدة .. وأسعد من قبل .. ولا يهم ما يحدث ؟ (تومىء برأسها موافقة) اذن .. فهـذا يبرر كل شىء ! (يغتصب ضحكة) .

مارجريت : بالطبع يبرر كل شىء ! وكنت دائما أعرف ذلك . أما أنت فلم تكن .. أو لم تستطع .. وأنا لم أقدر على مساعدتك أبدا .. مع أنى كنت أعرف طوال الوقت أنك كنت فى وحـدة شـديدة ! وكنت أسمعك دائما تقول لى انك ضائع ، ولكنى لم أستطع أن أجد الطريق اليك لأننى كنت ضائعة أنا الأخرى ! يا له من مسلك رهيب تشعر به زوجة ! (تضحك .. وبفرح) ولكنك هنا الآن ! أنت لى ! أنت حبيبى الذى افتقـدته طويلا ، وزوجى ، وولدى الكبير ، أيضا !

براون : (وعليه أثر الغيرة) وأين أولادك الكبار الآخرون فى هذه الليلة ؟

مارجريت : خرجوا للرقص ، وكل منهم معـه فتاة ، لكى تكون على علم .

براون : (ساخرا) ألا تشعرين بالغيرة ؟

مارجريت : (متهللة) بالطبع ! وبشكل مريع ! ولكننى لبقة، لا أجعلهم يرون . (مغيرة موضوع الحديث) صدقنى أنهم لاحظوا ما طرأ عليك من تغـير ! وكان الأكبر يقول لى اليوم « ما أعظم ألا يكون أبونا عصبيا بعد الآن . انه انسان مرح عندما يحـاول أن يكون كذلك ! » وقال الآخـران بحماس شديد : « هذا صحيح ! » (تضحك) .

براون : (بانكسار) أنا .. أنا مسرور .

مارجريت : ديون ! أنت تبكى !

براون : (يصدق الاسم ، فينهض محتدا) كلام فارغ ! هل عرفت ديون بكى فى حياته من أجل انسان ؟

مارجريت : (بحزن) لم تقدر .. حينـذاك . كنت شـديد الانطواء ، ولم يكن عندك من تبكى عليه .

براون : (يذهب ويأخذ رسما ملفوفا من درج المنضدة ..

وبتجهم) على أن أنجز بعض الأعمال .

مارجريت : (بخيبة أمل) ماذا ، هل سألك بيلى براون أن تشتغل كذلك فى البيت ؟

براون : (متهكما) من أجل مصلحة ديون ، كما تعرفين.. ومصلحتك .

مارجريت : (منتفعة بعبارته .. وبانشراح) وهو كذلك ! فأنا لا أريد أن أكون أنانية . ومما يجعلنى فخورة بك أن أجدك طموحا الى هذا الحد . دعنى أساعدك . (تحضر له لوحة الرسم التى يضعها على المنضدة ويدبس عليها رسمه . تجلس على الأريكة ، وتتناول كتابها) .

براون : (وكأنها كلمة عابرة) سمعت أنك كنت هناك اليوم لرؤيتى ؟

مارجريت : نعم ، وسمع بيلى بزيارتى ! وكنت ثائرة جدا حتى أقنعنى أن هذا كله من أجل المصلحة . متى يأخذك شريكا له ؟

براون : فى القريب العاجل .

مارجريت : وهل صحيح أنه سيعطيك مسئولية كاملة عندما يسافر الى الخارج ؟

براون : نعـــم .

مارجريت : (بلهجة عملية) لو أستطيع أن أجعله يتقيـــد بكلامه . فليست العبرة بالوعـــود ، ولكنها .. (مترددة) أنا لا أثق فيه .

براون : (بنظرة ثاقبة ، وبحدة) ما الذى يجعلك تقولين هـــذا ؟

مارجريت : أوه ، شىء حدث اليوم .

براون : ما هو ؟

مارجريت : لا أقصد أن ألومه ، ولكن .. لكى أكون صريحة ، أظن أن الاله الكبير براون كما تسميه أصـــبح غريب الأطوار ، وجاء الوقت الذى يحتاج فيه الى أجازة ، ألا ترى ذلك ؟

براون : (فى صوته تهدج .. ولكن بحذر) ولكن لماذا ؟ ما الذى فعله ؟

مارجريت : (مترددة) اذن .. فهو فى الواقع أمر ســـخيف جدا .. فجأة أصبح غريبا بشكل فظيع . وجهه أخافنى ، كان شبيها بوجه الجثة . وأخذ يهذى بكلام فارغ يقول أنه أحبنى دائما . واستمر فى هذا الكلام وكأنه أحمق صحيح . (تنظـــر الى

براون الذى يحدق فيها ، فتشعر بعدم الارتياح)
ما كان يجدر بى اذن أن أقول لك هذا ، فهو يكاد
ألا يكون ملوما . ثم عاد الى رشده وأصبح على
ما يرام والتمس منى العذر وبدا فى حزن أسيف ،
فأسفت له . (ثم تقول برعشة) ولكن بصراحة
يا ديون ، كان أمرا يدعو الى التقزز والاشمئزاز
حتى تعاف سماعه ! (وتقول باشفاق لا يخلو من
ازدراء) مسكين يابيلى !

براون : (بمظهر الساخر الأليم) مسكين يابيلى ! مسكين
أيها الجدى بيلى ! (وبسخرية محمومة) سأقتله
من أجلك ! وسأقدم لك قلبه على طعام الافطار !

مارجريت : (تقفز مذعورة) ديون !

براون : (يلوح بمطواه تلويحا بشعا) قلت لك سأغتال
هذا الاله اللعين الذى يثير الاشمئزاز ، الاله
الكبير براون الذى يقف كالعجل السمين فى
طريق صحتنا وثروتنا وسعادتنا !

مارجريت (مرتبكة ، لا تعرف مدى ما يدعيه ، تضع أحد
ذراعيها حوله) لا تفعل يا عزيزى ! ولا تكن
غريبا مخيفا من جديد ، فهذا يجعلنى أخشى

ألا تكون تغيرت حقيقة بعد هذا كله .

براون : (بغير اكتراث) وعندئذ ، تستطيع زوجتى أن تكون سعيدة ! ها ! (يضحك ، وتبدأ هى فى البكاء . يتمالك نفسه .. ويربت على رأسها .. ويقول برفق) وهو كذلك يا عزيزتى . المستر براون يرقد الآن آمنـــا فى الجحيم . فحـــاولى نسيانه .

مارجريت : (تتوقف عن البكاء .. ولكنها تظل مذعورة) ما كان ينبغى أن أقول لك أبدا .. ولكنى لم أتصور أبدا أنك ستأخذ الأمر مأخذا جادا . وأنا لم أفكر أبدا فى بيلى براون الا على أنه صديق ، ولا حتى ذلك فى الأيام الأخيرة ! فما هو الا عجوز غبى أحمق !

براون : ها — ها ! ألم أقل انه كان فى الجحيم ؟ انهم يسيمونه ألوان العذاب ! (ثم مستعيدا سيطرته على نفسه .. وبانهاك) أرجو أن تتركينى وحدى الآن ، فعندى ما أعمله .

مارجريت : وهو كذلك يا عـــزيزى . سأذهب الى الغـــرفة الأخرى ، واذا احتجت الى أى شىء ، فما عليك

الا أن تناديني . (تربت على وجهه .. وتقـول بنعومة) هل نسيت كل شيء ؟

براون : وهل ستكونين سعيدة ؟

مارجريت : نعـم .

براون : اذن ، أعدك بأن أنساه ! (تقبـله وتخـرج ، ويشخص ببصره الى الأمـام ، ثم يطرد أفكاره وينكب على عمله .. وبسخرية) مبنانا الجميل الجديد يناديك يا مستر ديون ! لأن تعمـل ! ولسوف تتفنن فى اخفـاء الشيطان القـديم « سالينوس » فى القبة ! ونتركه يرقـص فوق رؤوس واضعى القوانين ، وينظر اليهم شـذرا نظرة أبدية خالدة ! (ينكفىء على عمله) .

سـتار

الفصل الرابع

المنظر الأول

المنظر : هو نفسه الذى كان عليه المنظر الأول من الفصل الثالث ... غرفة الرسم ومكتب براون . فى شفق يوم من الأيام بعد مضى حوالى شهر . الرسامان منكفئان على منضدتهما يعملان.
يرى براون جالسا الى مكتبه ، يعمل بحمية فى أحد الرسومات، وقد ارتدى قناع ديون . أما قناع وليم براون فملقى الى جواره على المكتب . وبينما هو يعمل يضحك بحقد مشوب بالانتشاء ... وآخيرا يلوح بقلمه ويقذف به الى الأرض .

براون : انتهى ! باسم الاله القدير براون ، آمين ، آمين ! ها قد أصبح مبنى عجيبا رائعا ! أصبح التصميم صالحا لأن يكون ملاذا للحمقى المجرمين ! أما بالنسبة لهم ، والفضل يرجع الى فنى ، فيبدو أنه سيحظى بتقديرهم باعتباره متمشيا تماما مع الذوق العام ، ضخما بدينا للغاية ، وقورا مبجلا كأنه رجل المجتمع ! وهذه الواجهة التى تعلوها الأبهة والجلال ستكشف لى وحدى عن نفسها

فاذا هى ضحكة اله الخمر بان ، تلك الضحكة الساخرة المتهافتة التى يطلقها وأذناه مثقلتان بدوى سقوط الحضارات السابقة والحضـارات التى سوف تجىء ، تسترقان السمع الى براغيثه وهى تجيز القوانين التى فيها اذلاله واسـتعباده ! ها ، ها ، ها ! (يقفز من وراء مكتبته بتهريج . ويرقص رقصات شبيهة برقصات الماعـز وهو يضحك بغبطة شهوانية) . يعيش مدير الشرطة براون ! يعيش وكيل النيابة براون ! يعيش معاون البلـدية براون ! يعيش الناخب براون ! يعيش المحافظ براون ! عضو الكونجـرس براون ! الحـاكم براون ! السـناتور براون ! رئيس الجمهـورية براون ! (يغنى) أوه ، ما أكثر الأشخاص الذين اجتمعوا فى اله واحد ليؤلفوا الاله الخير براون ؟ ها ها ها ها !

(يتوقف الرسامان فى الغرفة الأخرى عن العمل وينصتان) .

الرسام الاصغر: سكران كالمعتوه !

الرسام الأكبر: على الأقل ديون كان عنده من الأدب ما يجعـله يبقى خارج المكتب ..

الرسام الأصغر: ما أظرف براون ، سرعان ما يسكره الشراب !

الرسام الأكبر: والأغلب أنه كان يجرع الشراب ناحية المدينة ، طوال الوقت .

براون : (وقد عاد الى مكتبه ، يلهث ويضحك لنفسه) جاء الوقت لتصبح كما كنت جديرا بالاحترام ! (ينتزع قناع ديون ويمد يده متناولا قناع وليم براون .. ثم يتوقف ، وكل يد من يديه على قناع ، شاخصا ببصره الى الرسم وهو فى غاية الاشمئزاز ، وقد بدا وجهه الحقيقى الآن مريضا ، شاحبا ، ناتىء الوجنتين ، محمر العينين عليه آثار الألم) ما أقبحنى ! وما أبشعنى ! وما أحط شأنى ! ماذا كان على الشيطان الذى فى داخلى حتى يتهالك على أبخس الأشياء وأرخصها ثمنا .. ثم ينال منى فيعاقبنى بازدرائى لنفسى وكراهيتى للحياة ؟ لم لم أوت من القوة ما أقضى به على نفسى .. ومن العمى ما أقعد به قنوعا راضيا ؟ (رافعا بصره الى السماء ، وبمرارة وضراعة) رب هبنى من القوة ما أقضى به على هذا ! وعلى نفسى ! وعليه ! وعندئذ سوف أومن

بك ! (وبينما هو يتحدث يسمع صوت على السلم ، ويرى الرسامان مكبين على عملهما . تدخل مارجريت موصدة وراءها الباب ، ومع هذا الصوت يقفز براون وسرعان ما يتعرف على صاحبه .. وبانزعاج) مارجريت !

(يقبض على كلا القناعين ويذهب الى الغرفة جهة اليمين) .

مارجريت : (تبدو عليها الصحة والسعادة ، وان اكتسى وجهها بمسحة من الخوف والانهاك ، تخاطب الرسامين فى سرور) . صباح الخير ، أوه ، لستما فى حاجة الى ما يسبب لكما الازعاج ، فهو المستر براون الذى أود أن أراه ، وليس زوجى .

الرسام الأصغر: (بتردد) قفل على نفسه الباب .. ولكن ربما اذا طرقته ..

مارجريت : (تطرق .. وبشىء من الضجر) مستر براون !

(يدخل براون الى مكتبه ، مرتديا قناع وليم براون . يسرع الى الباب الآخر فيفتحه) .

براون : (بود وحنان) تفضلى يا مارجريت ! ادخلى ! هذا شىء بهيج ! اجلسى ! ماذا أستطيع أن أعمل من أجلك ؟

مارجريت : (مأخوذة .. وبشيء من الحدة) شيء بسيط .

براون : بالطبع شيء عن ديون . حسن ، فحبيبك العزيز على ما يرام .. ولن يكون أفضل مما هو عليه الآن !

مارجريت : (ببرود) انها وجهة نظر ، وأرى أنك ترهقه بالعمل الى درجة الموت .

براون : أوه ، كلا ، ليس هو ، وانما براون هو الذى سيموت ، لقد اتفقنا على هذا .

مارجريت : (ترمقه بنظرة غريبة) أنا جادة فيما أقول .

براون : وأنا كذلك ، جاد جدا ! ها ها ها !

مارجريت : (كاتمة حنقها) هذا ما جئت اليك من أجله . فالواقع أن ديون فى الأيام الأخيرة يتصرف بمنتهى الغيرة ، ولا أشك فى أنه على وشك الانهيار العصبى .

براون : اذن ، فليس هو الشراب بالتأكيد ، فهو لم يتناول قطرة واحدة ، ولم يعد يحتاج اليه ! ها ها! ولا أنا كذلك ، ولو أن الاشاعات بدأت تقول اننى غارق فى الخمر طوال الوقت ! وذلك لأننى بدأت أضحك ! ها ها ها ! انهم فى هذه البلدة

لا يؤمنون بالفرح الا عن طريق زجاجة الخمر !
يا لهم من ناس بسطاء مضحكين ! ها ها ها !
عندما تكونين الاله الكبير براون ، اه ،
يا مرجريت ؟ ها ها ها !

مارجريت : (تنهض .. وفى ضجر) أخاف أن ..

براون : لا تخافى ، يا عزيزتى ! لن أعود فأطارحك الغرام !
أقسم بشرفى ! فأنا أقرب الى القبر من ارتكاب
مثل هذه الحماقة ! ولابد أنه كان أمرا مضحكا
بالنسبة لك عندما جئت الى هنا فى المرة الماضية..
لترى عجوزا كريها أحمق مثلى ، آه ! .. مضحكا
حتى لا تقدر على وصفه الألفاظ ! ها ها ها !
(ثم بحركة مفاجئة يلوح أمامها بالرسم)
أنظرى ! لقد فرغنا منه ! ديون فرغ منه ! وتمت
له الشهرة !

مارجريت : (بحدة) بيلى ، أنا واثقة حقا بأنك سكران !

براون : لم يقبلنى أحد .. واذن فلكم جميعا أن تظنوا بى
الظنون ! ها ها ها !

مارجريت : (ببرود) اذا كان ديون فرغ من عمله ، فلماذا
لا أستطيع أن أراه ؟

براون : (بجنون) ترين ديون ؟ ترين ديون ؟ حسن ، لم لا ترينه ؟ انه عصر المعجزات ، والشوارع ملأى بمن سموا « عازر » . أقيمى الصــلاة ! أقصد أتنظرى لحظة ، لو تسمحين . (يختفى براون فى الغرفة جهة اليمين ، وبعد لحظة يعود فيظهر فى قناع ديون ، يفتح ذراعيه فتندفع مارجريت اليهما ويغيبان فى قبلة عاطفية ، وأخيرا يجلس معها على الأريكة) .

مارجريت : اذن فقد فرغت منه .

براون : نعم ، وستأتى اللجنة لرؤيته الآن . عملت فيه كل التغييرات التى طلبها أولئك الحمقى !

مارجريت : (بود وحب) وهل يمكننا أن نبــدأ فى شــهر العسل الآخر فورا والآن ؟

براون : فى أسبوع أو نحوه ، وأرجو .. بمجرد أن يسافر براون الى أوروبا .

مارجريت : قل لى .. ألا تراه يدمن الشراب ؟

براون : (يضحك كما كان يضحك براون) ها ها ! غارق الى أذنيه طــوال الوقت ! غارق فى الحيــاة !

ولا قبل له بالاقلاع عن الخمر ! أنها تقضى على أحشائه !

مارجريت : (منزعجة) عزيزى ! أنا قلقة عليك ، فأنت تشبهه فيما كان عليه من جنون .. عندما تضحك ! يجب عليك أن تستريح !

براون : (كابحا جماح نفسه) سأستريح فى ســلام .. عندما يرحل !

مارجريت : (بنظرة حادة) ما هذا يا ديون ، هذه ليست بذلتك ، انها تشبه تماما ..

براون : انها بذلته ! فقد أصبحنا وكأننا توأمان ، وانى أرث ملابسه مقدما ! (ثم مهدئا من روعه حين يرى مدى ما هى فيه من خوف) لا تقلقى يا عزيزتى ، فما أنا الا مغرور تافه ، والآن فرغت من عملى . ويبدو لى أننى غارق أنا الآخر فى الحياة ! (اللجنة تدخل غرفة الرسم وهى مؤلفة من ثلاثة أشخاص متوسطى العمر تبدو عليهم سمات الأهمية) .

مارجريت : (تغتصب ابتسامة) اذن ، فلا تدعها تقضى على أحشائك أنت الآخر !

براون : لا خطر ! فأحشائى صنعت من حديد فى الجحيم! ها ها ها !

مارجريت : (تقبله وبتلطف) تعال الى البيت ، يا عزيزى .. أرجوك !

الرسام الأكبر: (يدق على الباب) اللجنة حضرت يا مستر براون.

براون : (مهرولا الى مارجريت) استقبليهم أنت ، وناوليهم التصميم حتى أحضر براون . (يرفع صوته) تفضلوا بالدخول أيها السادة . (يخرج من جهة اليمين بينما تدخل اللجنة الى المكتب ، وحين يرون مارجريت يقفون فى اندهاش) .

مارجريت : (بارتباك) طاب مساؤكم . مستر براون سيكون معكم حالا . (ينحنون ، فتحمل مارجريت التصميم اليهم) هذا هو التصميم الذى وضعه زوجى ، فرغ منه اليوم .

أعضاء اللجنة : آه ! (يتجمعون حول التصميم ليتفرجوا عليه .. وبحماس) يا للكمال ! يا للروعة ! ليس فى الامكان أبدع مما كان ! هو تماما ما اقترحناه !

مارجريت : (بفرح) اذن فهل قبلتموه ؟ المستر أنتونى سيكون فى غاية السرور !

أحد الأعضاء : المستر أنتونى !

عضو آخر : وهل عاد الى العمل هنا من جديد ؟

عضواللجنةالثالث: هل تقولين ان هذا التصميم وضعه زوجك ؟

مارجريت : (مهتاجة) نعم ! من أوله الى آخره ! كان يشتغل شغل الكلاب .. (مأخوذة) هل تريد أن تقول .. ان المستر براون لم يخبرك أبدا ؟ (يهزون رؤوسهم فى دهشة فيها وقار الجماعة المهمين) أوه ، يا له من نذل حقير ! انى أكرهه !

براون : (يظهر جهة اليمين .. ساخرا) تكرهيننى ، يا مارجريت ؟ تكرهين براون ؟ ما أقسى ما تقولين. (بلهجة خطابية) أيها السادة ، لقد أخفيت عنكم سرا لكى تكونوا أنتم أنفسكم أكثر الناس تأثرا به حين أكشف لكم عنه . ألا وهو أن هذا التصميم بأكمله من وحى عبقرية المستر ديون أنتونى . وأنا لم يكن لى فيه دخل على الاطلاق.

مارجريت : (نادمة) أوه ، بيلى ! أنا آسفة ! اصفح عنى !

براون : (متجاهلا اياها ، يتناول الرسم من اللجنة ويأخذ فى خلع دبابيسه من على اللوحة .. وبسخرية) . أرى فى وجوهكم أنكم قبلتم هذا . وأنتم مغتبطون ، أليس كذلك ؟ ولم لا ، يا سادتى

الأعزاء ؟ أنظروا اليه ، وانظروا الى أنفسكم ! ها ها ها ! انه سيخلدكم يا رجالى الكرام ! وستكونون كالموت الذى يستهدف السخرية كما فى حالة « جوميللر » ! (ثم فجأة يغير لهجته تغييرا كاملا .. ويقول بغضب) أيها الحمقى الملعونون ! ألا ترون أن هذه اهانة .. اهانة فظيعة كافرة ! يلقى بها فى وجه نجاحنا هذا الساقط المنكود الذى يقال له أتتونى .. اهانة لكم ، ولى ، ولك يا مارجريت .. وللاله العلى القدير ! (وفى حمى الغضب) واذا كنتم من الضعف والجبن حتى تسكتوا على هذا ، فأنا لن أسكت ! (يمزق الرسم الى أربعة قطع ، فتقف اللجنة مذهولة ، وتسرع مارجريت الى الأمام) .

مارجريت : (نائحة) أيها الجبان ! ديون ! ديون ! (تلتقط الرسم وتضمه الى صدرها) .

براون : (يقفز قفزة مباغتة شبيهة بقفزة الماعز) سأقول له أنك هنا (يختفى ، ولكنه سرعان ما يعود ويظهر مرتديا قناع ديون وفارضا على نفسه احكاما رهيبا لكى يتحاشى الرقص والضحك . يتكلم

بدماثة) كل شيء على ما يرام .. كله من أجل
ما هو أفضل .. ولا يصح أن تجزعى ! قليلا من
الصمغ يا مارجريت ! قليلا من الصمغ أيها
السادة ! وكل شيء يصبح على ما يرام ! فالحياة
ليست كاملة يا اخوانى ! والناس لهم أخطاؤهم
يا أختاه ! ولكن قطرات قليلة من الغراء قد تفعل
الشيء الكثير ! وبملئات يسيرة من الصمغ تتنازل
عن أشياء هنا وهناك .. وحتى القلوب الكسيرة
ترمم لتكون فى خدمة الولاء ! (يتحرك متجها
نحو الباب فيحدقون فيه جميعا بحيرة صامتة ،
يضع أصابعه على شفتيه) هس ! اليكم كلمة
السر التى يقولها لنا أبى وقت النوم ! يولد
الانسان كسيرا . ويعيش على الترميم . ونعمة
الله هى الغراء ! (وبحركة سريعة واثبة يفتح
الباب ويمرق من خلاله ويغلقه وراءه فى صمت
وهو يحاول كتمان الضحك ، ثم يقفز بخفة الى
جوار الرسامين المأخوذين .. ويقول فى همس)
المستر براون قد مات ، وسيجدونه فى الغرفة
الصغيرة ! (وبوثبات خفيفة يتوارى عن الأنظار ،

ورأسه ملقى الى الوراء ، ويضحك ضحكات مكتومة وهو يترنح . ويمكن سماع صوت قدميه وهو ينزل درجات السلم واثبا خمس درجات فى كل وثبة ، ثم تسود فترة صمت حيث الأشخاص فى الغرفتين مشدوهين ويكون الرسام الأصغر هو أول من يفيق) .

الرسام الأصغر: (مندفعا الى الغرفة الأخرى ، صائحا بنبرات مرعبة) المستر براون قد مات !

أعضاء اللجنة : هو الذى قتله ! (يهرعون جميعا الى الغرفة الصغيرة جهة اليمين ، وتظل مارجريت مذهولة من الرعب . يعودون بعد لحظة حاملين قناع وليم براون ، اثنان من كل جانب ، وكأنهم يحملون جسدا من رجليه وكتفيه . ثم يمددونه على الأريكة صامتين ويقفون خافضين اليه البصر) .

عضو اللجنة الأول : (فى خشوع خائف) لا أصدق أنه مات .

عضو اللجنة الثانى: (فى نفس اللهجة) أكاد أسمعه يتكلم . (كأنه مسوق الى توضيح صوته ، والى توجيه حديث هام الى القناع) مستر براون .. (ثم يتوقف قاطعا حديثه) .

عضواللجنةالثالث: (يتراجع الى الوراء) لا ، فقـد مات ، حقا !
(وفجأة يعلوه الخوف والغضب فيقول فىعصبية)
يجب أن نسارع لنطارد أنتونى فى كافة أرجاء
الأرض !

مارجريت : (بصرخة قلب كسير) ديون برىء !

الرسام الأصغر: سأطلب الشرطة بالتليفون ، يا سيدى ! (يهرع
الى التليفون) .

ســـتار

المنظر الثانى

المنظر : هو نفسه الذى فى المنظر الثانى من الفصل الثالث ... مكتبة بيت وليم براون يرى قناع ديون قائما على المنضدة تحت المصباح ، شاخصا ببصره الى الأمام . كما يرى براون جاثيا على ركبتيه بجوار المنضدة . ناظرا أمامه وقد بدأ عاريا تماما الا من قطعة قماش بيضاء يستر بها عورته ، أما الملابس التى مزقها فى سورة غضبه فترى مبعثرة على الأرض. وقد استقام بجمع كيانه واتجه بعينيه وذراعيه الى السماء وأخذت عضلاته تتابع شفتيه وهما تصليان فى صمت صلاة خشية وضراعة . وفى الآخر يبدو وكأن صوتا يصدر من داخل ذاته .

براون : رحماك يا منقذ الانسان ، يا رحيم ! انى أدعوك من أعماقى ! رحماك بالانسان المسكين ، الذى خلقته من تراب ، تراب الأرض غير المقدسة ؛ رحماك بالاله الكبير براون الذى صنعته من هيأة الطين ! رحماك يا منقذ الانسان ! (يبدو وكأنه فى انتظار الجواب .. ثم يقفز واقفا على قدميه مادا احدى يديه ليلمس القناع كالطفل الخائف وهو يصل الى يد مربيته .. ثم مباشرة وبلهجة اليائس الساخر) بخ ! آسف يا أطفالى

الصغار أن تكون مملكتكم خاوية على عروشها، فالاله سئمنا ورحل عنا الى كوكب آخر بعيد فتان ، الحياة على ظهره لهيب راقص ! وبدونه أصبح لزاما علينا أن نموت . (ثم مخاطبا القناع بصوت أجش) جمعا ، يا صديقى ! وأنت أيضا ! خل مارجريت تعانى ! وخل العالم كله يعانى كما أعانى أنا ! (يسمع صوت باب يدفع بعنف حتى يفتح ، ودبيب أقدام تلبس نعال ، واذا بسيبل تندفع الى الغرفة لابسة قناعها . تتوقف فجأة لدى رؤيتها براون والقناع ثم تجيل النظر بينهما فى غموض وحيرة برهة من الوقت . ترى فى ثوب يابانى فضفاض لونه أسود ، منتعلة خفين فوق قدميها العاريتين ، وشعرها الأصفر متهدل على كتفيها وقد ازدادت بدانة واكتسبت مزيدا من الهدوء الموضوعى العميق كهدوء الصنم) .

براون : (ينظر اليها محدقا وكأنه المفتون .. ويتكلم بطمأنينة كبيرة وكأن حضورها قد أراحه) .
سيبل ! كنت ذاهبا اليك ! كيف عرفت ؟

سيبل : (تنتزع قناعها وتجيل النظر بين براون وقناع

ديون ، والآن تقول بقدر كبير من الفهم) واذن
فهذا هو السبب الذى من أجله لم تعد تأتى الىّ
أبدا ! أنت ديون براون !

براون : (بمرارة) أنا رفات وليم براون ! (يشير الى
قناع ديون) أنا قاتله وقتيله !

سيبل : (بضحكة غليظة واشفاق) أوه ، لم لا تستطيعون
أبدا أن تتعلموا أن تكونوا وشأنكم وأن تتركونى
وشأنى !

براون : (بسذاجة وصبيانية) أنا بيلى .

سيبل : (بسرعة وبلهفة أمومية) اذن أسرع يا بيلى ،
أسرع ! انهم يقتفون أثر شخص ما ! وقد حلوا
بدارى يفتشون عن قاتل ديون ! وهم لابد
واجدون الضحية ! اذ جعلوا يهدئون من روعهم،
ويطردون شياطينهم والا لن يغمض لهم جفن
أبدا ! وكان عليهم أن يخلصوا أنفسهم بالقبض
على أحد المذنبين ! أو كان عليهم أن يقتلوا أحدا
الآن ، حتى تكتب لهم الحياة ! أنت عريان !
ولابد أنك شيطان ! أسرع يا بيلى ، أسرع !
سوف يأتون الى هنا ! وأنا أسرعت الى هنا

لأحذر .. شخصا ما ! اذن فسارع بالهروب ان كنت تريد الحياة !

براون : (كطفل مستاء) أنا تعبان جدا ، ولا أريد أن أسرع .

سيبل : (بهدوء أمومى) وهو كذلك ، فلست فى حاجة الى الاسراع يا بيلى ، فلا تستأ (وبينما يأتى صوت لغط من الخارج) على أى حال ، فات الأوان ، فانى أسمعهم الآن فى الحديقة .

براون : (يتصنت ثم يمد يده ويتناول قناع ديون ، ويقول وكأنه اكتسب قوة) شكرا لهذا الجميل الأخير يا ديون ! استمع ! ها هم الآخذون بثأرك! يقفون على قبرك فى الحديقة ! هاهاها ! (يلبس قناعه ويقفز الى الجهة اليسرى ويأتى باشارة كأنه يفتح نافذة على مصراعيها ثم يقول بسخرية فيها سرور) أهلا بكم ، أيها العابدون البكم ! أنا الهكم الكبير براون ! نصحت بأن أهرب منكم ولكن شاءت قدرتى أن أهرب راقصا فوق نفوسكم الذليلة الخاضعة ! (تسمع صيحات من الحديقة ، ووراءها وابل من الطلقات النارية ،

براون يتراجع مترنحا ويسقط على الأرض بجوار الأريكة وقد أصابه جرح مميت) .

سيبل : (تسرع الى جانبه ، فترفعه على الأريكة وتنتزع قناع ديون) لا تستطيع أن تأخـذه معك الى الفراش ، عليك أن تذهب وحدك لتنام . (تعيد قناع ديون الى مكانه تحت المصباح ، وتلبس قناعها فور سماع ايصاد الأبواب وتكسير الزجاج ووطء الأقدام . تندفع الى الغرفة « فرقة من الشرطة » استلوا مسدساتهم وقادهم قائد أشيب مقطب الوجه ، تندفع وراءهـم مارجريت وهى لا تزال فى ذهولها تضم قطع الرسم الى صدرها).

القائد : (مشيرا الى قناع ديون .. وقائلا بلهجة الظافر) قبضنا عليه ميتا !

مارجريت : (تتهاوى على ركبتيها ، وتأخذ القناع فتقبله .. وتقول بقلب كسير) ديون ! ديون !

(تظل تبكى بحزن صامت عميق ، ووجهها مختف فى ذراعيها ، والقناع فى يديها فوق رأسها المنحنى)

القائد : (ناظرا الى سيبل وبراون .. وباندهاش) هيى !

انظرى الى هذا ! ماذا تفعلين هنا ؟ ومن يكون
هـــذا ؟

ســـيبل : كان ينبغى أن تعرف ، فأنت الذى قتلته .

القائــد : (مدافعا عن نفسه بحدة .. وفى صوت أجش)
كان أتتونى ! رأيت وجهه الغرير ! وهذا الطريح،
أراهن أنه شريك فى الجريمة ! وقد أدى دوره !
من هو ؟ واحد من أصدقائك المنحلين ! ما اسمه؟
خبرينى والا ألقيت عليك القبض !

ســـيبل : بيلى .

القائــد : بيلى ماذا ؟

ســـيبل : لا أعرف ، انه يموت . (ثم فجأة) اتركنى معه
على انفراد وربما حملته على الاعتراف .

القائــد : هذا أفضل ! وأريد أن أحصل على تقرير واضح،
سأعطيك مهلة دقيقتين . (يشير الى رجـال
الشرطة الذين يتبعونه خارجين من الجهة اليسرى.
تخلع سيبل قناعها وتجلس عند رأس براون ،
الذى يبذل جهده ليرفع نفسه اليها فتأخذ بيده
وتطرح ثوبها على جسده العارى وتشد رأسه
الى كتفها) .

براون : (يطمئن اليها .. وبلهجة الشاكر) الأرض دافئة .

سيبل : (بدماثة .. وهى شاخصة ببصرها الى الأمام كالصنم) هس ! اذهب لتنام يا بيلى .

براون : حاضر ، يا أماه . (ثم موضحا) كان الظلام دامسا فلم أعرف الى أين كنت أسير ، وكلهم اقتفوا أثرى .

سيبل : أعرف . أنك متعب .

براون : وعندما أستيقظ .. ؟

سيبل : ستشرق الشمس ثانية .

براون : لتحاسب الموتى والأحياء ! (خائفا مذعورا) لا أريد العدل وانما أريد الحب .

سيبل : ولا يوجد هناك غير الحب .

براون : شكرا لك يا أماه . (ثم خائرا) بدأت أشعر بالنوم ، ماذا كانت الصلاة التى لقنتنى اياها .. أبانا .. ؟

سيبل : (بغبطة هادئة) أبانا الذى !

براون : (متلقيا صوتها .. وبغبطة) الذى ! الذى ! (وفجأة .. بوجد وانجذاب) انى أعرفه ! فقد وجدته ! وهأنذا أسمعه يقول ! « طوبى لأولئك

الذين يبكون ، لأنهم سوف يضحكون ! » .
والذى عرف البكاء هو وحده الذى يعرف الضحك ! وضحك السماء هو الذى يروى حبوب الأرض بوابل من الدموع . ومن ألم ولادة الأرض يخرج ضحك الانسان ويعود مرة ثانية يرتع ويلعب ، وهى مرات لا تحصى ولا تعد وكأنها ألسنة من لهب تتراقص عند ركبتى الاله!
(يموت) .

سيبل : (تقوم وتمدد جسده على الأريكة ، ثم تميل عليه وتقبله برفق ، تعتدل وتلقى ببصرها فى الفضاء .. وبألم عميق) أبدا يعود الربيع حاملا فى باطنه الحياة ! أبدا يعود ! أبدا ، أبدا ، يعود الى الأبد ! يعود الربيع ! وتعود الحياة ! ويعود الصيف والخريف والموت والسلام ! (وبحزن مُوجع) ولكن أبدا ، أبدا يعود الحب ، والحمل ، والولادة والألم .. ويعود الربيع حاملا ما لا يحتمل من قدح الحياة ! (ثم بسرور أليم) يعود حاملا تاج الحياة المتوهج المجيد ! (تقف

وكأنها صنم الأرض ، تجيل بصرها فى كافة أرجاء العـالم) .

مارجريت : (ترفع رأسها فى خشوع الى القناع .. وبلطف الظافر المشوب بالحـزن) حبيبى ! وزوجى ! وولدى ! (تقبل القناع) الوداع . وشكرا لما حققت لى من سعادة ! وأنت لم تمت ، يا حبيبى! لا ولن تموت أبدا ، حتى يموت قلبى ! ستحيا الى الأبد ! وستنام تحت طيات قلبى ! وسأشعر بك تتقلب فى نومك وأنت راقد الى الأبد تحت طيات قلبى ! (تقبل القناع مرة أخرى ، وتسود فترة صمت) .

القائـد : (يأتى ولا يكاد يرى الا من جهة اليسار ، يرسل كلامه الى الأمام دون أن ينظر اليهم .. وبفظاظة) اذن ، ما هو اسمه ؟

سـيبل : اسمه الانسان !

القائـد : (يخرج من جيبه مذكرة كالحة اللون ، وقلما من الرصاص طوله بوصة) وكيف تتهجين حروفه ؟

سـتار

خاتمة

المنظر

بعـــد مضى أربع ســـنوات ، نفس المكـــان على رصيف الميناء كما فى المقدمة ، فى ليلة مقمرة أخرى من ليالى شهر يونية • يسمع صوت الأمواج وأنغام الموسيقى الراقصة التى تتناهى من بعيد •

تظهر مارجريت وأبناؤها الثلاثة من ناحية اليمين ، الأكبر الآن فى الثامنة عشرة من عمره • يبدون جميعـا طوالا رشاقا أشداء ولهم طلعـــة بهية ، وقد التفوا حول قوام أمهم النحيل كأنهم عمالقة يحمونها ويخلعون عليها صورة غريبة للأنوثة التى تحس الوحدة وتستشعر الفراق • ترى مرتدية قنـــاع الأم العطوف التى يعلوها الكبرياء ، وقد بان عليهـــا الكبر الذى يكســبها الوقار ، وظهر فى شعرها الشيب الذى يضفى عليهـا الجمال • وهناك فى صوتها وسلوكها احساس المرأة الحزينة الراضية التى تعرف أن غايتها فى الحيـــاة قد تحققت أحسن التحقيق ، ولكنها فى الوقت نفسه تحس بقليل من الفراغ وعدم الارتياح فيما يتعلق بغائية هذه الحياة • تلف نفسها فى دثار رمادى اللون •

الأكبر : ألا تبدو « بيى » جميلة الليلة يا أمى ؟

الأوســط : ألا ترين أن « ميبل » أحسن الجميع فى الرقص يا أمى ؟

الاصغر : أوه ، « اليس » أحســن من الاثنين ، أليست كذلك يا أمى ؟

مارجريت : (بضحكة بسيطة شاحبة) كل واحد منكم على حق . (ثم بنهاية غريبة للكلام) الى اللقــاء ، يا أولادى .

الأولاد : (مندهشين) الى اللقاء .

مارجريت : عندما عرض على أبوكم الزواج ، كان ذلك هنا ، وفى ليلة تكاد تشبه هذه الليلة . ألم تعرفوا ذلك أبدا ؟

الأولاد : (بارتباك) . نعم لم لا نعرف .

مارجريت : (بشوق وحنين) ولكن الليالى الآن أبرد بكثير مما كانت عليه من قبل . تصوروا أننى ذهبت أستحم فى ضوء القمر فى شهر يونية عندما كنت فتاة . وكم كانت ليلة جميلة دافئة فى تلك الأيام . انى أتذكر يا أولادى ليالى شهر يونية عنـدما كنت حاملا بكم .. (تسود فترة صمت ، ويشعر الأولاد بالقلق والملال ، فتقول لهم برجـاء) عدونى وعدا صادقا بأنكم لن تنســوا والدكم أبدا !

الأولاد : (على مضض) أجل ، يا أماه .

مارجريت : (تتكلف لهجة المزاح) ولكن يجب عليكم ألا تضيعوا هذه الليلة من ليالى شهر يونية مع امرأة عجوز مثلى ! اذهبوا وارقصوا . (وبينما هم يترددون) اذهبوا ، فأنا فى الحقيقة أريد أن أكون وحدى .. مع ليالى شهر يونية .

الأولاد : (غير قادرين على كتمان تلهفهم) حاضر ، يا أماه. (يذهبون) .

مارجريت : (تزيح قناعها ببطء ، وتضعه على الأريكة ، ثم ترفع بصرها شاخصة الى القمر ، وفى صوت عذب رخيم) مضى وقت طويل ! وبقيت أنا كما أنا ، مارجريت ! فحياتنا وحدها هى التى تكبر وتشيخ ، أما « نحن » فنبقى حيث القرون لا تحتسب الا ثوانى ، وبعد ما نحيا ألف حياة وحياة نفتح عيوننا لنبدأ فى الحياة من جديد .. (تنظر فيما حولها بابتسامة فيها تأمل واستغراق) والقمر يرقد مستريحا فى البحر ! وأحب أن أرى القمر يرقد آمنا فى البحر ! أود أن يترك ديون السماء وينزل الىّ ! أريده أن ينام فى موجات قلبى !

(تمد يدها برفق تحت دثارها حتى تصل الى صدرها فتنتزع قناع ديون وكأنها تنتزعه من قلبها ، تضعه أمام وجهها وكأنها فى خاتمة المطاف)
حبيبى ! وزوجى ! وولدى ! لا لن تموت أبدا حتى يموت قلبى ! ستحيا الى الأبد ، فأنت نائم تحت طيات قلبى ! وأشعر بك تتقلب فى نومك وأنت راقد الى الأبد ، تحت طيات قلبى . (تضع على شفتيه قبلة أبدية لا تنتهى) .

ستار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٤٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين أوكاسى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين اونيل
٢٥	ماساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	چيمس باری
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	چورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف اوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك آبسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	چان چيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوچين اونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار القلم للملايين ببيروت .

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٤٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	آوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين أوكاسى